

١٢
محمّد بن محمد السويدي

أصفى الموارِد في

تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد

الغريب

محمد المختار الميموني

أصفى الموارِد في

تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد

الفريق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

مقدمة

الحمد لله الذي جعل البيت مثابة للناس وأمنا ، وهيا للقلوب من حج الديار المقدسة في مكة والمدينة المنورة ما ينقيها من الغفلة والاخلاد الى النفوس والى شهواتها فضلا منه ومنا ، والصلاة والسلام على خير من يزار قبره في طيبة المكرمة ، وعلى آله وصحابه من حازوا في كل المكارم خير منقبة .

أما بعد : فقد كان الشيخ الوالد رحمه الله كتب رحلة أيام سفره الى الحج سنة ١٣٠٥ هـ ولكنه لم ينقحها ، وبقيت في مبيضتها . ولم يتأت له أن يراجعها لينقح منها ما يحتاج الى التنقيح ، لانه كان يلقي الابيات أولا على عواهنها ، من غير أن يشذ بها ولا أن يهذبها . وفي بعض الابيات خلل في الوزن ، وفي بعضها تغيير في القافية . ولم يكن الشيخ خاليا من علم العروض واو تاتي له أن يحررها لكانت سائلة من كل ذلك ولكن زواه عن ذلك ما زواه مما امتلأت به حياته ، مع ما كان أصابه في غالب رحلته من ضعف فقد كان اعتراه مرض هناك عضال ، ربما كان هو الزاوي له عن تنقيح ما يكتب . ثم بقيت في مبيضتها الى أن جاءت اليها نسخة مكتوبة بيد الفقير الصادق ، والفقير اللودعي . سيدى محمد بن البخارى الدرعى فرأيت تلك النسخة ربما ألم بها أيضا مسخ النساخ ، زيادة على عدم تنقيحها أولا . فجاء بعض أبياتها في شكل لا يمت الى النظم بسبب ، فأخذتني الغيرة ، فظهر لى أن أخطأ بيدي . وان أنقح منها بعض أبيات محافظا على الالفاظ ما أمكن ، وأما روحها فهو القطب الذى لا يتزعزع . على أننى ربما أتم موضوعا قد طرقة ، ثم لم يستتم منه المعنى المراد . بل يتركه مقتضبا ، وربما تكلم أيضا فى مقام كلاما بكيفية لا تناسب الصناعة . فأحوله الى كيفية أخرى أمس بالصناعة ، وربما أتى من جديد بذكر حادثة كما هي عادته فى مقامات أخرى . وبذلك كله صار للرحلة رواء يدخلها فى عديد الرحلات ، وهذا كله فى الحقيقة قد انشأها نشأ جديدا ومن أراد التبرك بالاصل على ما هو عليه فانه موجود وقد كنت أولا لم أظفر الا ببعض الرحلة فخرجته . ثم ظفرت بالباقي فألحقته بأخيه . والله الحمد . فها أنذا سأتبعها وعلى الله الكمال . وعليه التكلان بحوله وقوته .

قال رحمه الله ورضي عنه :

بسم الاله والصلاة والسلام
الحمد لله الذي سددنا
وآلف القرشيين فى الشتا
أكرمنا بنعمة الايمان ،
أكرمنا بنعمة الایجاد
وارسل الرسول بالبشارة
(من قال لا اله الا الله
يفرز من الاله بالجنان
وذاك مروي عن البخارى
وقال فى محكمه التنزيل
للمجتبى رسوله الخليل
ان طهرا بيتى بذا قد عهدا
اذن ، فوصل الهى الدعاء
فعظم الاله ذلك الحرم
ومن يعظم حرمة الله
فذاك خير له عند ربه
جعلنى الله الذى قد عظما
ويقتفى سبيل من قد ارسل
ومنهج الاصحاب والاتباع

على النبی المصطفى خير الانام
ولبقاع المصطفى أرشدنا
والصيف رحلة بها لمن أتى
بخير خلق الله والقرآن
أكرمنا بنعمة الامداد
مصرحا بها بلا اشارة
محمد أرسله الاله (١)
ويعتزز بحلقة الرضوان
وغیره فقل ولا تمار
الفائق الآيات والترتيل
ونجله النبی اسماعيل
اليهما وللخليل أسندا
لكل من لبي وطاف وسعى
وكرم القاصد غاية الكرم
ويترك الكل من الملاهى
وحقق التقوى له فى قلبه
جميع ما الله له قد أكرما
علما وحالا ومقالا عملا
ومنهج الشم ذوى الاجماع

* * *

وبعد فاعلم أن للشباح
وليس يخفى حقها لمنصف
قد اشتكى الشبح بالروح وقال
أنا محلها وليس من مقييل
أنا قوامها وبى تصول
هجرت حقا جملة الحباب
وهى بكأس الوصل من حبيبي
واننى اشتاق ان أرشف من
لكنها ليست تراعى الجارا
تمتص عند الحب صفو الكأس
أشارك الروح لدى المكاسب
هذا ورب البيت من منكور
تركت ملبسا ومأكلا معسا

دعوى ببرهان على الارواح
وليس يبدو نصها لمتلف
مبيناً حقوقه بذا المقال
لها سوى ، بى تبيت وتقبل
فى كل حومة وبى تجول
فملت بالكل عن الرغائب
تلتذ وحدها بلا رقيب
أشربها بل اننى به قمن
فتغدى عليه ممن جارا
واننى أنبذ لا مواسى
وتبغض الشرك لدى المواهب
ليس بمعروف ولا مشكور
ومنطقا ومنظرا ومسمعا

(١) بيت من نظم ابن عاشر فى فقه العبادات .

ومفرشا ومركبا ومضجعا
لكي تنال الروح قرب الله
وتجتني العلم من المعارف
وترتقي كراسي التوحيد
اذ زوجت بحضرة القدوس
ان يقبل العبد على مولاه
محقق التوبة والانابة
متبع السنة والكتاب
مستغرق الاوقات بالاذكار
مبتهلا مداوم الافكار
واقطعا وساوس الشيطان
مطلق الدنيا طلاقا بتا
مصارم الوصل لها على الدوام
ولو بان يسلم السلاما
راس الخطايا مجمع الاكدار
ومن يصارم مجمع الاكدار
لا بد أن يصوم من لها انتمى
فهجروهم هجرا يرى جميلا
لن تجدوا قوما يوادون الذي
وذاكرا لاسمه بالتبجيل
الله قل لجمعه العساني
مشخص الحروف بالحضور
وذرحم في الخوض يلعبونا
واصبر على القول اذا سمعنا
ونفسك افطمها عن اللذات
مستوثقا بالله والاشياخ
واقند بالشيخ كمال الاقتدا
وقف على الحسد الذي يحد لك
فليس يأمر بغير الشرع
فالشيخ باب منه تدخل الى
واتوا النيوت أيها الطلاب
قد قيل من ليس له استاذ
لانه لا بد ممن يأمرك
والعقبات في الطريق شتى

ومنزلا بل لا أرود مجمعا
ورسله كي لا ترى كالألهي
لذيذة خفية اللطائف
بحلية التفريد والتجريد
ومهرها يكون بالنفسوس
مشمرا مجتبيا هـواه
ومخلصا لوجهه اياه
محاسب الخوباء بالعتاب (١)
في الليل والنهار والاسحار
مستحضرا عظمة القهار
مقتبسا من حضرة الرحمان
وآبقا منها كما ابن متى (٢)
بقلبه وذاته الى اتمام
ان السلام يفتح الكلاما
وهامة الفتن والاشرار
وبؤرة الفتن والاغيار
ابناءها ان كان بالله اعنى
واتخذ الله فقط وكيلا
حساد الاله والرسول فاحتد
اليه مثل ما لدى التنزيل
ففي اقرب يقرب الاماني
من غير أن تميل للفتور
الى حظوظ الوهم يسرعونا
منهم ، فانت الكون قد وسعنا
فانت في منى وفي لذات
في غسلها من درن الاوساخ
لتتهدى به كمال الاهتدا
فحده لله نهج من سلك
فهو السبيل وحده والمرعى
مولاك منه ترتقي الى العسلا
من بابها يفتح لكم بواب
فشيخه الشيطان والملاذ
في كل ما تفعله وينصرك
وأنت في جهل الطريق أنتما

(١) الخوباء : النفس (٢) يونس بن متى الذي ابق الى الفلك والابق الهارب

والترهات بالخصوص تعترض
أطامع أنت النجاة وحدك
لذلك كن عارف الطريق
وعارف الطرق في السلوك
من لم يكن شيخ امامه هلك
حذف الوسائط جميعها اختلال
قتلك سنة ولا تبديلا -
وكان مرويا عن الاخيار
من راض نفسه على العبودية
لا يد أن تبقى به كل يوم
وربما يسرى الى حضيض
وكل صنعة فلابد لها
أما ترى العلوم ليست تؤخذ
كذلك القلب فليس يصفو
ومن يرد به الاله خيرا
موصلا حضرة الرحمن
وجامعا للجذب والسلوك
وليس يخطر له في القلب
متى أراد الله ذلك فقد
فاعلم بأنه أرادك الى
سبحان من لم يجعل الدليلا
من غير ما يجعله لنفسه
وخصلة الخير هي الباب الى
وباعت الخصلة شدة العطش
فحسن الظن بخلق الله
اياك والظن الخسيس انا
عليك بالظن الجميل صاح
فقد مضى الكلام ان الروحا
وجارها الشبح كان يشتكى
وغير راض تركه الوصالا
وداعيا للحكم الترضى حكو

وأنت وحسبك لهم هو الغرض
وان بسذلت في النجاة جهدك
يلزم كل منتحى طريق
هم الشيوخ عارفو الملوك
والقصد بالاوهام منه يشتهك
توكل على وجودها ضلال
لسنة الله ولا تحويلا
أهل الصفا وعيبة الاسرار
من غير شيخ فهوى وعادة
اذ لم يطب داء الحكيم
من غير أن يشعر بالحضيض
من عارف طرقها وسبلها
عن غير خريت لديها ينفذ
الا اذا خطو صفى يقفوا
ياتيه بالشيخ يقيه ضيرا
مستغرقا في حضرة العذنان
وعارفا بملك الملوك
سوى الاله ثملا بالحب
أسبغ فضلا نعم بلا عدد
تخصيص معرفته بين الملا
الى وليه ولا سبيلا
يا ويح من لم يدرك غير حبه
معرفه السولى ومن ليس فلا
فى القلب ثم طلب للمنتعش (١)
تفر بخير الخلق غير واه
أخاه لا يفلح حيث عنا
فانه الاقرب للصالح
تتابع الغبوق والصبوحا (٢)
من حظه الضائع فى المشترك
للحب كيما يبلغ الكمالا
منه من ليس لحق يترك

(١) أى الانتعاش .

(٢) يقال الغبوق للشراب الذى يشرب عشية ، والصبح الذى يشرب صباحا

تحاكما وقيسدا المقيسدا
فشهد العسذلان لسلاباح
وانه قد فرض الوصال
فحكم الحساكم لسلاباح
من شرب كاس الوصل للجبائب
فى قصد بيته وزورة النبى
فانتعشت بنهضتى الاكوان

السفر من الغ

فى عام (شسه) (٢) وبيوم اثنين
خرجت من بلدنا وقت الضحى
وفى القلوب حرقه الفراق
ان الفراق قطعة العذاب
قد جرع الاخوان من تشييعى
فمنهم الحائر والولهان
لكننى ودعتهم لله
ورجعوا والدمع فى المحاجر
وبعدهم لم يزل الفقيه
يطوى الطريق معنا فى السير
الاخ والصهر من انتمت لله
علامة الدهر ونخبة الزمان
وراية العلم عليه خافقة
اليه يرجع الصلاح والادب
فدرس العلم على الدوام
لم تله الدنيا عن التدريس
وكلنا من نسب متصل
متبع شقيقه محمدا
من يفعل الخير الذى قد فعله
قد خلف الذى عليه يجرى

فى دسته وكشفت احوال
بان حق الجار فى الصحاح
بالحج ما استدارت الاحوال (١)
بمثل ما حكم لسلارواح
مسح اقتضاء سائر المطالب
يا سعد يا بشرى بنيل المطلب
وامتلات بالبهجة الاعيان

(يز) (٣) لشعبان اثنان يمنى
والبين قد أبدى الاسى وأوضحا
وانما يسلى رجا التلاقى
بل كله عند ذوى الاحباب
كاس المرارة لدى التوديع
ومسبل الجمان والسكران
فليس عن ودائع بساهى
كأنه منثر الجسواهر
أخو العلا السميع النبیه
ومن يشيع حاز كل خير
محاسن الخلق فأبدت فضله
وفخر ذا العصر على كل أوان
وشمسه شرق سماه شارقة
وفكره قطب القريض والادب
بالبحث مثل مخدّم صمصام (٣)
ولا عن الذكر لدى التقديس
وهو أبو الحسن سبى على
من كان فى الهمة فردا أوحدا
يعمل فى العمر القصير عمله
فى حال موته بخير ذخـر

(١) جمع حول .

(٢) أحرف (شسه) ترمز بالعدد الى ١٣٠٥ ، وكذلك (يز) أى ١٧ .

(٣) السيف القاطع

لأنه أكرم من كريم
ففاق بالجهد والاجتهاد
فقاتهم وسلموا في السبق
وهو الذي أسس من بلدتنا
ودرس العلم له تلامذة
وحبس الاحباس ثم خلفا
فهذه الثلاثة التي ذكر
ومعنا محب أهل الخير
من وصفه أوصاف أهل الله
له عديدة من المناقب
أخلاقه طابت سليم الصدر
شجرة السخا حمت له الحمى
فوجد الفضل لذلك السخا
حبي أبو سالم الغشاني
(ومعنا أيضا من الاخيار
ذلك أحمد الزمامي ذو التقى
وكل واحد نوى التشييعا
ثم حدا الحادي بذاك اليوم

في زاوية تازار والت

فارتحل الراكب بنا سيرا الى
سيدي أحمد بن موسى قاصدين
من انبات أخلاقه ووصفه
بأنه المحفوف بالعناية
ذو نسك وورع وزهد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد
اسمه ابراهيم نجل صالح
وكان هذا أول المراحل
فكل ما اشتتهه نفس النازل
وفي الصباح كنت في صباح
فاهتز رب الدار بالحب ومال
وارسلت أمه خاتما الى
وبعد ما وصلت له لقيته

بأي عزم مقعد مقيم
أقرانه من زمن المهاد
من مثله في الغرب أو في الشرق
مدرسة شادت له كل الثنا
عديدة لهم فهم نافذة
أولاده ينتجعون الشرفا
لفاعل أجر بها وان قبر
من لم يفارقهم بكل سر
وقلبه لاه عن الملاهي
تخط ما له من المثائب
من كل شين شان أهل القدر
وأطلقت له اللسان والفما
ففلكه تمخر بالريح الرخا
خادم علم قارئ القرآن
أخص أحبابي من الابرار
وذو الحياء والسخاء والنقا
لم تقبل لنفسه له الرجوعا
بنا فودعت القرى وقومى

زاوية الشيخ طفاوة العلا
أخص أحبابي لديه نازلين
وعلمه وعقله ولطفه
وانه الموسوم بالولاية
وسنة وعفة ورشد
والشبل في المخبر ذاك الاسد
ولم يخالط قط غير ناصح
نزلاته فنيل خير نائل
تناله اليد بلا منساول
في ذكر أهل الخير والصلاح
والحب في الله دوام الاتصال
لكي يزار قبر سيد قصي
ازرتة فيها فجاء لربته

ثمت من بعد الضحاء الاثور
فاجتمع الناس بها وزرنا
فظهر السر لنا بحضرته
وبعد ما زرنا بها ارتحلنا

في أسكا

ثم حللنا أسكا فرحبوا
فشكرت السننا احسانهم
قلنا لهم احسانكم أن تطفئوا
فقبلوا ثم وفوا ، فغدروا

في المعدر

ثم الى منبع عين سرننا
ومركز السر وخير الامكنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد
شيخ لأهل راية الصوفية
وقسوة الانام في الارشاد
تاج لأهل الله والعرفان
صاحب ذكر السر ليس يلهو
فوحده الاله بالعيان
فصار يجتنى جنى المعارف
وكل من عرف حق المعرفة
اذ ليس موجودا على الطريقة
ولو رأيت به مع الاكوان
لأنك الذي رأيت الكونا
فالكل لم يوجد بغير الله
فاعتبر الایجاد والامدادا
فهذه الرتبة للخواص
ولم تكن لغير ذى اخلاص
وشيخنا احرز ذا المقام
قد صار بدء عمره حلف الخمول
بصحبة الاشياخ أهل الفن

سرننا لقبة ابن موسى الاشهر
بذكرنا المعلوم ان ذكرنا
يراه من كان يرى بنظرته
والهام باشتياقنا أملنا

بنا وفي ثانی المبيت رغبوا
بطلب اصغوا له آذانهم
نيران فتنة بكم تنطفئ
فهبت الريح لهم فنصروا

وجنة تلالات في دهرنا
وزهرة الدنيا بهدى الازمنة
شيخ المشايخ الامام الاوحد
في سوس فاق غيره كيفية
الى طريق الله والارشاد
حجة من بحضرة الرحمان
عن ذكر مولاه وليس يسهو
مع الشهود في حل الاكوان
وهي تنسى جنة الزخارف
الاهه فغيره لن يعرفه
بل انه المعلوم في الحقيقة
بظاهر فهو مع الرحمان
بنفسك التي كستك بونا
ولم يقم الا به يا ساهي
من أين كان ودع العنادا
من الخواص فاستمع للقاص
من كان في التسليم في الصياص
لزهده وتركه الانساما
حتى حوى كل الكمال والوصول
بالصدق والشوق صغير السن

فتارة يأوى الى السواحل
الى أن انطوت له الاكوان
فأشرحت به قلوب الخير
ولست تعرف من المشايخ
هذى جبال متشابهات
فكيف يعرفهم من لم يرا
وكل معدن فليس يظهر
الحفر في السادات بالتصديق
فمذهب الفقر على التصديق
فأسرعت لنحوه القصص
ووفدت وفود كل من أراد
فاكتسبوا بالصحبة المراما
فرسخوا لديه في العرفان ،
قد جمعوا الجذب مع السلوك
جسم غفير قد تلمذوا له
جزاه ربنا عن الانام
ونصر الدين بقدر الجهد
ولم تكن تأخذه في الله
سيرته الارشاد والاذكار
وليس ينظر الى الاولاد
يدوم الاسفار للارشاد
الى أن التقى مع الرحمان
تعرفه الايام والاعوام
مكتفيا بالله في الامور
مقاله يجلو صدى الاغيار
تبدو لنا من فيضه علوم
كم عالم جالسه بصدق
سمع علما لم يكن بعارفه
وغيره لم ير الا الزندقة
لأن سوء الظن أعظم الحجاب
صاحبه حواو جميع الشر

وتارة يأوى الى المنازل
وشهدت بقدر الاعيان
وانقبضت عنه قلوب الشر
الا الذي تدرك في الرواسخ (١)
وهم رجال كلهم ذوات
بنظرات صدقه ما استترا
ما لم تكن في الترب عنه تحفر
ان كنت من أيد بالتوفيق
ومذهب الفقه على التحقيق
واذعنت لزهد الزهاد
أن يعرف الله مريدا أو مراد
ووصلوا فخالطوا الاناما
ولم يروا سواه في الاكوان
وقد رضوا بمالك الملوك
فجاز كل قصده وسؤله
أرشدتهم بالخال والكلام
بالجد والحزم وفيض الوجد
لومة لائم لدى المناهي
شهد ذاك الليل والنهار
والاهل والاموال والبلاد
لكل من لقى في العباد
وهو يسبح في قرى (افران)
بدا كما يعرفه الاقوام
مجانبا صاحبة الغرور
لما اكتسى من كسوة الانوار
تجل أن تصطادها الفهوم
وحسن ظن نحوه والشوق
ولم يكن في كتبه بالفه
متى تشم العنبر الفويسقة
كفى الذي ورد فيه من عتاب
وسد عنه كل باب خير

(١) أى الجبال .

وقد روى فى سائر الصحاح
صاحبه لم ير فى الانام
فمن رأى صلاحه صباحا
فصار يبرم وينقض على
قد جاء الخطأ من قياس
قد وزنوا بوزنهم فأخطأوا
كيف يقاس حكم روح بالشبح
من قاس بالشاهد كل غائب
ثم رمت بهم قذائف الجحود
ومع ذا فكلهم يقول
وبعضهم يرون أن قد كثروا
وليس يصعب سوى التسليم
لكون وصف بشر يقهرهم
فكل من لم يكن الصديقا

اياك منه طالب الفلاح
أخا ولاية على الدوام
ففى مسائه يرى الطلحا
كم الزمان عاسفا وسط الفلا
أركانہ اختلت من الأساس
ان قياس ذا على ذا خطأ
فهل تكايل دنان . بقدر
فانه يخطب فى المذاهب
حتى رأوا أن لا ولى فى الوجود
الأوليا عددهم منقول
لكن اذا ذكر فرد انكروا
لواحد من خلقه معلوم
وحسن ظن لم يكن ينصرهم
لم يك من شرابهم ريانا

* * *

قد كنت فى غياهب الغباوة
وكنت غرثان الى دليل
يجلسو الى القلب لكى أنالا
فيستوى الجلال والجمال
وتصبح الافعال والاقوال
بيننا فدأدى نحوه صديان
اذ قبض الله لنا سعيذا
فكان آخذا بنا لله
فكان الى القبلة فى الامور
بنظرة أولى لديه شهدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ
فهكذا نسمع نظرة الولي
تركت ما سوى الاله هجرا
وقبحت عندي ملاح الدنيا
وليس لي فى غير ذات الله
فصمت عنى سائر العلائق
بدلت أحوالى بخرق العادة
وكان فى تخريقى العوائد

على شفا يورثنى الشقاوة
يهدى الى معرفة الجليل
فى نيل معرفته الكمالات
لدى والنقصان والكمالات
بالله والوصاف والاحوال
والقلب منى واله حيران
هذا وكان المبدى المعيدا
يرقى بنا حضرة الاله
وردنى عن سائر النفور
بذر لكل ما لديه قصدا
عنها فقال ليس غير هدى
ترقى الى حضرة ربنا العلى
قلهجت نفسى بربى ذكرا
مما يرى برؤية والرؤيا
قصد ولا مطلوب لي الا هي
لكونها عن مقصلى عوائقى
لطلب الاخلاص فى العبادة
أفضل ما يجنى من الفوائد

ولست تعرف الذى ثم سوى
تصير رافضا ومرفوضا اذا
فاختلف الناس قذا يقول
والبعض قال انه مسحور
وعند جل الناس كنت أحمقا
فكل من جهل شيئا عاداه
من بين فرث ودم يسقيننا
ذاك بفضل الله لا بغيره
ولم يزل بنا على الارشاد
فزال ما بنا من الآلام
ورجعت أرواحنا للأصسل
ولذة الحضرة ليست تحكى
وكل من رام حكاية يقف
بل الذى يحكى فليس يفلح
فهو الذى يوصف بالزنديق
وهو حر بذلك الوصف الزرى
اذ كل من ليس من أهل الفن
وأهل ذوقها ذوو اشارة
فالمطلب الوصول للحقيقة
واو علمت ما علمت فاتركا
هذا المقام حال أهل المعرفة
فوصفه ان لم يكن ذو الصدق
وفى الصحيح حدثن فى العلم
فهل تريد أن يكذب الرسول
قد قال ذاك خير هدى الامة
لكن ذا الاذواق قد يقول
ان كان فى المجلس أهل المعرفة
كالأم ان أنست الرضيعا
فالمنطوى من المعارف كذا
ذلك من بعض صفات العارفين
من كان هذا وصفه كيف يقاس
تصفه أنت بوصف الجهل
ففاتك الخير الذى لديه

ان كنت تترك بفعلك السوى
ما اقرب الاخلاص ممن نبذا
جن ، فأين القيد والحبول
أين رقى المسحور والبخور
فلم يكن فعلى لديهم منتقى
وكل من عرف شيئا ناداه
لبن معرفته يقيننا
يوتيه من أراد خيره
الى وصول خالق العباد
ومن عيوب النفس والاسقام
من التأنس برّب الكل
بشبه ولا بفهم منكسا
حيران ليس عارفا كيف يصف
أمن حكى ما ليس يدرى مفلح
اذ رام كشف السر بالمنطوق
لأنه حاول هتك المئزر
كيف يذوق منه طعم المن
يكفيهم التلويح لا العبارة
والاكتفا بالله فى الطريقة
علمك لله ، اليه سيركا
طبعنا وما أن حاولوا تكلفه
محض الجهالة ومحض الخرق
بقدر ما يدركه ذو الفهم
والله اذ جئت بما فوق العقول
من قوله يكشف كل غمة
بلا شعور منه اذ يجول
ومن تطلب الذى قد عرفه
ترسل والا تمسك الضروعا
فقد ترى فى الحسن منه محتذى
الكارعين فى الصفاء العارفين
بالفهم والعلم ووزن وقياس
وهو بعلم الله لا بالنقل
بما احتويت سرمدنا عليه

رزقنا الله سلامة الصدور
والصدق والتصديق والظن الحسن
بجناه سيد الورى محمد
صلى عليه الله ما لاح القمر
وجاه شيخنا السعيد الاسعد
جزاه ربنا الجزاء الأوفى

* * *

من كل ما يقطع عن سنى ونور
واختتم بالحسنى وكثرة المن
عين الوجود قطب كل مدد
والآل والصحب ومومنى البشر
فريد عقد الواصلين الاوحد
ازاء خير المرسلين الاصفى

اثنى العنان الذى فيه الكلام
بدار شيخنا نزلنا ظهرا
بمعدر قبيلة السملالة
ومذ نزلنا فرحت أوطانه
وكثر الفرح والاحسان
فصادفت نزولنا الافراح
بوالد الخليفة المسدد
مدته لم يلد الذكورا ،
أنبتة الله نباتا حسنا
متبعنا لسنة العدنانسى

من المراحل الى خير الانام
فانتعش القلب لديه جهرا
وقاه ربنا من الضلالة
بنا ورحب بنا ولدانه
حسا ومعنى وأضا الزمان
والبشر والحبور وانشرح
للفقراء سيدى محمد
فامتلا الاهل بذا سرورا
وليسبلن عليه منه مننا
مجتبنا طريقة الشيطان

في ماست

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ
منه لماسة بحصن الساقية
ماسة موضع الكمال طرا
من كان من أهل القلوب يدرى
رأيت فيها مرة اذ سحننا
وتلك لى الاولى بذاك حنا
فكم بها من جملة الاحباب
ان كنت فى مجالس الاذكار
أشعار أمداح الرسول تتلى
تراهم من حب سيد الورى
وبين صائح وذى اصطلام

حصل بالوداع مثل النفخ (١)
نزل ركبنا بحصن الواقعة
منبع أهل الله حقا جهرا
ما قاله من كان حلف خبر
سرا من الاسرار منه بحنا
قلبي لها وحبها قد سنا
كلهم ذوو صفاء الالباب
بها ترى نورا على الانوار
تترف فى كل اللغا وتجلى
بين بكاء وهيام فى القرى
وبين سالك من الاقوام

(١) أى النفخ فى الصور

والحب يفعل بأهل الذكر
لكن نـار الحب باختيار
من لم يرد ورود نـار الحب
وكل من يؤمن بالرسول
منها انبثى الفقيه سيدى على (١)
فقد حصل الفراق ، والجمان
فرجعوا مع الزمامى (١) أحمد

في المزار من كشميت

منه ارتحلنا الى المزار
جيران واد سوس أهل الخير
ثم حللنا دار سيدى الحسين
وكلهم لم يدر ماذا يفعل
لفرط ما بهم من الحب لنا
وأكرموا ثلاثة الايام
وعندهم رأيت فى المنام
سلطاننا سيدنا المولى العلى
فى غاية الفرح من منزله
فقال مسد خرجتم فرحت
وقام فى خدمتنا بنفسه
فأولت بمالك الملووك
ومن هنا رجس عنى الشقيق
وهو بأهل الله ذو اعتناء
ومعه بعض من الاخوان
فرجعوا بمركب البغال
ثم الى الصويرة الكبراء

قطـع وادي سوس

ثم ثلاثا صد وادى سوس
اذاك أن يسبل فلا تعبر به

فعل جهنم بأهل الكفر
وبالرضى وتلك باضطراب
لايسد أن يرد نـار الحب
تمسك أيديه عرى القبول
كذا أبو سالم (١) الحب العلى
ينثر اذ توادع الاخـسوان
خير نصوح للفتى المسترشده

لدى أحبة عزيزى الجـار
أهل المحبة لنا والغير
مقدم لديهم بكل زين
عند نزلنا وماذا يعمل
فزال ما بنا لديهم من عـنا
غاية ما يكون من اكرام
بشرى رأيت ملك الاسلام
أبا على نجل سيدى على
مرحبا بنا سواء أهله (٢)
وكل ما اشتهيتم ابحت
مفضلا بقلبه وحسنه
حبه سلوك ذا السلوك
الصنو ابرهيم أفضل رفيق
ولطريق القوم ذو اقتناء
فرجع الكل الى البلدان
كانت لنا حاملة الاثقال
حمارة وناقـة حمراء

تبـا له من معبر ذى بسوس
كى لا تكون واسبا فى قلبه

(١) تراجم هؤلاء فى (المعسول)

(٢) أى وسط أهله

ولم يكن يهلك بالوديان
 ليس له في سائر الوديان
 « ثلاثة ليس لها أمان
 ومعنا في قطعه أحباب
 أنا على البغلة وهي تقطف
 والصنو عبد الله كان راكبا
 لأنه وأربعاء من فقرا
 فتعب الكل بهذا القطع
 وفعل واد ليس فعل نحو
 يعمل في معموله بسيله
 وكل ذي عقل وخذن حزم
 فليقطع البر لرأس الوادي
 فهو يرى جميع ما كان يشا
 من ملبس ومفرش ومشرب
 لأن ما في ذاك من عمارة
 ومن ردانة لفوق سيرى
 الا الامان انه مكفون
 ولا يجوز نبشه من قبره
 ولم يخلف وارثا فاشتغلوا
 هواهم هوى بهم في المهوى
 والحكم للغالب لا للنسادر
 أما الصلاة فمن الرجال
 وادبهم يذهب بالابدان
 فارتكب الاخف من ضرين
 وبعد قطعنا شكرنا شكرا

في اكنادير ثم اورير

وكلنا زار ضريح سيدي
 وسره ظهر ، ثم رحنا
 أعز أحبابي بأورير قطن

الا المجربون بالطغيان
 مشابه ان جاش بالطوفان
 البحر والسلطان والزمان
 لولاهم تقطعت أسباب
 وكل من معي اليها يعطف
 فرس بعضهم فكان جاثبا
 قد أزمعوا أن يقصدوا أم القرى
 وبعضهم أشقى به للنزع
 ان كنت ذا عقل وحلف صحو
 الخفض فالنصب فرفع رجله
 فلا يطالب قطعه بعموم
 محاذي الضفاف في البوادي
 من فجره الى حنادس العشا
 وماكل وكل خير يجتبي
 أضفت على السكان حسن الشارة (١)
 كل الاماني لديه في القرى
 بسبعة لديهم مدفون
 قد ايقنوا العرف عظيم نكره
 بنقض عهد الله فيما عملوا
 اسرع بهلك من اليهم أهوى
 بلادهم تعمر بالبنادر
 قليلة فكيف بالعيال
 وجهلهم يذهب بالاديان
 فالويل أفضل من الويلين
 في حصن منكب صلينا الظهر

أبى القناديل بشوق جيد
 الى الذي له الغواد حنا
 أفضل بالترحيب ثم بالنن

(١) الشارة : أي الهيئة .

في آيت تامر بحاحه

من عنده لآخرين أيضا
بوادي أيتمر قديما كانوا
ان جئت للرجال والنساء
ومثلهم في حاجة قليل
سحنا قيلول مرة فبتنا
واخبرت بأنها في النجوم
قد شاهدت إبليس هاربا الى
وليس علم عندهم بنا الى
فاعلموا لنا وقد استبشروا
وهكذا الرؤيا تجيء فينة

في تمانار

ثم الى المحجوب من عمال
مرامنا البيع لبغلة لنا
ومثلها يحبها العمال
قبل غروب الشمس قد طلعا
وشددت حجابها علينا
فأبوا التقريب والترحيبا
طال بنا الوقوف ثم ملنا
ونحن كل ذاك بالافراح
وكسان عنده كثير فقها
لم يدرك ما يفعل وهو ضيف
لموضع في خارج قد ملنا
شيئا من الوعظ لهم فأذنا
بعد الصلاة نظروا ما يعمل
لكي نبيت أحسن البيات
فقليل لي سلم عليه حينما
لأنه في خارج بمعزل
فقام للدخول بعد المغرب
وليس يجترى عليه أحد
حاجه يقوم ليس يجلس

قد حققوا النفل لهم والفرضا
موضع أهل الله حيث بانوا
تراهم الولوع بالصفاء
والزهد وصف منهم جليل
فاقبلت امرأة سرتنا
قبل مجيئنا بذاك اليوم
بحر بقربهم بصوت اعتلى
دخولنا قبل الغروب للملا
ان قبل في الصباح جاء المبشر
كالبرق من قبل انصباب المنة

حاجة وهو من ذوى افضال
عل بنقده تلم شملنا
وعندهم قد توجد الاموال
لكن من الدخول قد منعنا
وسددت رماحهم اليها
وآثروا الاقصاء والتأنيبا
الى الجدار ثمت احتللنا
من ربنا الفاعل وانشراح
عرفنى من بعضهم ذوو النهى
ونحن بالزاد وهذا صيف
مع جميع الفقها وقلنا
أذان مغرب فقالوا أمنا
من حيلة يجنى بها ما يؤمل
مع جميع الفقها السادات
يريد أن يدخل كيما يعلمنا
عنا لدى الصلاة قرب المنزل
والناس منه في هوى ومرهب
كأنما يخطر منه أسد
يلازم العبوس ليس ينبس

يرعى له بطرفه الخواطر
وكل من كان بتلك الحضرة
فجد آدابهم الظواهر
فقلت أمشي فتلاقيت معه
فدخل الدار بغير رد -
فدخل الكل ونحن كنا
الى ورا العشا وقد نعسنا
جاء الينا حاجب محجوبه
اتفق اللفظ مع المعنى كما
فقال قم فسيدي يدعوكا
وذاك انه جرى في النادى
ان قال بعض الفقهاء أتى هنا
بالعلم والصالح والخيرات
فاستسمنوا بظنهم ذا ورم
فحسن الوصف باذن العامل
فقال للحاجب قم وائت به
فقلت في الحين بقصد الوعظ
وجدتهم في قبة مصنوعة
واذ رآني زال عن منصته
مرحبا بقلبه وقال به
فهو كقلب وهم كالجسد
فقلت اذ رأيته قد أقبل
ليس سبيل للكلام غير ان
فقال لي أهلا بنصح الله
فقلت للحاضر من رعيته
هل أنتم تأتمرون طرا
فقال كلهم نحن نهمل
فقلت ان أمر بالخمس لكم
فابتدروا بقولهم لو أمرا
فقلت للقائد ها أنت ترى
فكل من ترك في حكومتك
في سائر البلدان اذ حكمتا
ضيعت دين الله في أحكاما
ان الفريضة عمود الدين

وكيف ان أشار بالظواهر
قلبه ملآن بتلك الحمرة
وفى بواطنهم المناكر
مسلم فلم يرد أن يسمعه
سلام من سلم بل بصد
تحت الجدار ما رأينا الكنا
تحت الجدار وبه أنسنا
وافق حقا اسمه محجوبه
ترى وسبحان الذي قد قسما
لا كان من يا سيدي يجفوكا
وهم يجولون بكل وادى
فلان ممن فضلهم مثل السنا
ووعظه يطير بالمهجرات
ونفخوا وهما بغير ضرم
فاشتاق أن ينال خير نائل
لنستفيد من سنا مطلبه
له بحال أولا واللفظ
بزينة وفرش مرفوعة
يشير للجلوس في أريكته
وقال كل مرحبا اذ قال به
مبتدرون ان أشار باليد
وكان للنصح له مستقبلا
رأيت نفسك بنصحنا فمن
جازاك عن نصحك لي الهى
ومن بناديه من أهل طاعته
نهيا اذا تهاكم أو أمرا
منه الاوامر فحيناً نقبل
هل تتركون في الوقوت شغلکم
بالعشر اديت بسوقت لامرا
من الذنوب ما عليك في الورى
أى صلاة فهي في رقيتك
عليهم جهلت أم علمتا
وهي عظيم ذاك في اسلامكا
كما روى عن النبي الامين

فقد رأيت من بحول داركا
أحسن كونك عاملا ولا
بالوعظ والضرب وقتل الحد
أنت خليفة الامام الاكبر
فارسل الرسول للمؤذن
فقال من لم يرد الصلاة
من ضربنا وحبسنا وكل ما
فقلت تبني مسجدا في الداخل
فقال قد وعدت بالنساء
ففرح المجلس والاسماع
ولم تبع بغلتنا ورحنا

في محطة آخر

فارسل الاكرام ذا تمام
لكونه عرفنا من قبل
وكان كاتبه من اخواني
لذلك قد نزلت في مسجده

في دار القائد الحسن النكناقي

ثم هنا لآخر أخينا
مرحبا غاية ما ترحيب
وتلك شئنته لكل
أبى على قائد النكنافة
سياسة حسنة وطبع
قد كنت قبل ذا بشهر رحنا
فكان أن وصيت عن بناء
فالآن قد وجدته مكملا
في اليوم الاول لنا برمضان
فكان دائما به يصلي
وهكذا فلتكن العمال
أكرمهم الله بجنبنا الصفي
الاخ في الشيخ بنى الطريقة
مستغرقا في حضرة الرحمان

تركها بله أبا جواركا
تجعل في الصلاة ذاك العملا
وذاك في الدين تمام الجهد
فأنت بالتكامل في ذاك حري
فجاء في الحين فورا لم ين
اعلم به فلن يرى النجاة
يرده لها الى أن ينعمنا
تجمع فيه مع كل داخل
له بهذا العام بلا مرء
وفي الصباح حصل الوداع
لآخر بالمسجد استرحنا

حتى تمتعنا بهذا الاكرام
فكان وجهه لنا والميل
كذا امام مكتب القرآن
لعلني أرد من مورده

في صحبة صحت ولن تبينا
ومفضلا بنعمهم وطيب
عادة أهل المجد أهل الفضل
فالبشر منه الخلق واللطف
طابت به أصوله والفرع
لديه بالاخوان حين سجننا
مسجده في الدار باعتناء
فكان أن صليت فيه أولا
وهو كما رووه أفضل مكان
هو ومن معه وكل الاهل
أولا ، فهم على الورى وبال
الاخ عبد الله خلنا الوفي
شارب صرف الراح في الحقيقة
وكارعا في سنة العدنان

مستسلما لله في الامور
بنظرة من شيخنا سعيد
غلب جذبته عليه دهره
فلم يفارقه الى أن استوى
يراجع الشيخ بحال الجذب
والشيخ قال له ان قدرنا
فقال بعد كلما رمت الذهاب
وكان يخرق العوائد على
وأمر الاشياخ بخرق العادة
ما زال ذا السيد في ذاك الى
فرجع الجذب الى باطنه
والصحو في الظاهر ذو اشراق
لكنه يغلب في أحيان
فكل ما سكن في الجوانح
وكل من ليس عليه يبدو
فباع صاحب لنا لديه

في الصويرة

ثم ارتحلنا بعد المصويرة
نزولنا فيها لدى أجلة
رباطهم أحسن به مكانا
ينسى بحسنه لك الاوطانا
مع الذين فيه من كرام
وكان قطب جمعهم لله
خديم أهل الله حيث كانوا ،
سواد عين مقلنة الاحباب
أخلاقه علت به ذرى العلا
أفضى به عند اللقاء الفرج
يتابع الانعام والمؤونة
وأهل داره على الدوام
وهو بما احتجناه من حوائجا
وقف في ذاك وقوفا لا يقف
اعني أخا الكمال سيدي عمر

وهو اذا الاقدار في سرور
حصل منه الجذب للوجيد
بحضرة الشيخ فباح جهرا
بصحوه ومن سلوك ارتوى
يريد مشيا فأباه ربي
فاذهب ولن تقدر ما استدرنا
يأبى الفؤاد في الحشا سوى الاياب
ما يأمر الشيخ به بين الملا
سلمه فهو الطب فوق عادة
أن زال جذبته فزال الاملا
لكنه ينفك من آجنه
يشع بالالطاف والاخلاق
فيستجيش جذبته الرباني
يبدو على ظواهر الجوارح
حال فليس له منه زند
بغلته بنقد بيع مشهي

ونحن في الصوم وفي الهجرة
أحبة أعزة أهلة
يملا أذكنا به اخوانا
ان كنت ناجيت به الرحمانا
يجنون ما يراد من مرام
من فكره دوما على انتباه
محب أهل الخير حيث بانوا
ومنه نور مهج الالباب
ووليت منه المكسب ولا
حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
مدتنا هناك والمعونة
بزادنا اشتغلن منذ أيام
يظل منها داخلا وخارجا
أمثاله ألف لصاحب ألف
أماه مشهورا بذاك كالقمر

وهو الوقت على الصورة
وكان لي أخ حبيب بر
منقطع لله بعد الاشتغال
وكان عنده من الدراهم
فزويت عنه بفضل الله
فجمع الله له تشتيتا
فيحمد الله لهذا ويشكر
ومثلا جرى مدى أزمان
بالامتحان تعرف الرجال
وان هذا لمن الرجال
رأيت مختبرا بالسجن
فلم يززع عن مقام الصدق
فبان أن محبة الرحمان
اعنى به سيدنا المختارا
وله صهر اسمه التهامي
مدير كأس خمرة السماع
يطرب من بحضرة الاذكار
ان ذقت القلوب والاسماع
وكلهم يلهج بالذاكرة
فطابت الاقنات والاقوات
وفي الصورة رأيت الدينا

محاورة حول التصوف

وقد رأيت عالما في الظاهر
قد زرت في بيته في السوق
وباع لي ميارة الكبيرة
فصار يغمز طريق القوم
فكان يعقد لنا مناظرة
فقال اظهركم السبحة في
اخفاؤها أقرب لسلامة
أليس مرويا عن العدناني

الطيب السمعة والسريرة
أيضا له من الصفاء قدر
في البيع والشراء في تشتيت بال
ما ليس يحصيه أخو المفاهم
لحبسه الرسول لا المناهي
فلا يرى في قلبه تنكيتا
على الرضى به وليس يكفر
سرت به طوائف الركبان
والطرف لا يعرف أو يجالا (١)
لصدقه في القول والافعال
وكانت الدنيا عليه تجنى
في جانب الله بقدر الطوق
كسته في الاسرار والاعلان
من كان عند ربه مختارا
مفترع السذرة والسنام
من عدة الفنون والانواع
بنعمة كربة الاوتار
كأس سماع رقت الطباع
في كل ليل ان جرت مسامرة
بنفحة تحيا بها الاموات
كنزا دراهم أهلها ثمينا

بها وفي الباطن غير ماهر
زيارة الطارق لا المشوق
أكون من صحبتته خيرا
يقول : هار أسكنم في اليوم
معه ولكن يعلن المكابرة
أعناقكم ليس بفعل السلف
ان الرياء طرق المعاصي
بكل رأو ثقة رباني

(١) الطرف بالكسر : الفرس الكريمة ، وأو بمعنى الى

ان الخمول كله لنعمة
 تركتم السنة ثم ملتزم
 وصار ينسج على المنوال
 فصار يخبط كخبط العشوا
 فتارة يكون في المناقضة
 وتارة يهذى وليس يسدى
 حتى تراه مادحا للقسوم
 وقصده اظهار العلوم
 وكل ما يذكر من وفاسق
 وكنت لا أرد من كلامه
 الى أن استوعب ما يروم
 فقلت ما ذكرت من خمول
 وكل من يراهم يقول
 وانهم أدري بسرهم الذى
 وهو لديهم عدم التخصيص
 وهم يراعون من الخمول
 فهم ذووا القسطاس فى الاشياء
 فكم خمول يكرهون وصفه
 وانما الاعمال بالنيات
 وقلت أيضا له ما ذكرت
 قد كان انكره عز الدين
 وبعدهما أخذ عنه قال
 مؤيدا بحلفه اليمين
 والله ما قعد بالصدق على
 سوى الذين انتجعوا التصوفا
 وتركوا الدنيا وأهلها معا
 قلت ألا أنظر يا أخا الافهام
 امعن فى مقاصد القوم الى
 وعرف اللب الذى ترتاد
 فقال ما قال ولم يكن له
 لم تكن السبح فى الاعناق

ان الظهور كله لنقمة (١)
 لباع فبيس ما فعلتم
 لكونه المدرة فى الاقوال (٢)
 عاسفة تقطع ليلا دوا (٣)
 يأتى بشيء وبضد عارضه
 أكان فى بر مشى ثم بحر
 مدحا جلاه فى صفات الذم
 وانه قد منح الفهوم
 لسنة أولا فمن نفاق
 شيئا لما شاهدت من مرامه
 وهو على تظاهر يحوم
 فهو لديهم سبب الوصول
 كذا كذا فليكن الخمول
 ذاقه من طريقهم من يحتذى
 بينهم بالسر لا التقيص
 كالملاح للطعام فى المثل
 كما يكون الطب بالسوء
 وكم ظهور يحمدون قطفه
 والطب بالمزاج لا الذوات
 من سنة بين الذى انكرنا
 قبل التقاء الشاذلى الامين
 مقالة ما غادرت مقالا
 حين احتسى الخمرة باليمين
 قواعد السنة فى الذى انجلا
 واقحموا انفسهم بحر الصفا
 ولم يروا للنفس فيها مرتعا
 من عرف الحق من الاوهام
 أن أدرك الاصل الاصيل فى الملام
 أزهاره الصوفية الرواد
 جهل بمقصودهم اعماله
 ولا المرفعات فى الاطواق

(١) هذا ليس بحديث ، قاله المختار .

(٢) المدرة : العظيم . (٣) الدو : الفلاة والبرية .

ولا العكاز على الاكف
بل المقاصد صفاء القلب
الا لما يفيضه القرآن
يصفو المرید من عيوب نفسه
حتى يوافق هواء الشرعا
فأى بدعة رأيت عند من
فذلك الزهد لدى الصوفية
وكل ما عدا فانه لما
ومن يكن يعلم ليس يجهل
فيجد المنكر ذا من السبح
وان للقوم اصطلاحا مثل ما
فلتفهموا اصطلاحهم ان شئتم
لكنكم لاتنصفون القوما
بحقكم من منكم فى السنة
أسنة الرسول حب العاجلة
فنحن بالسنة منهما على
ليس لنا القصد سوى الاذعان
بحق من خلق كن مجيبى
فقال سنتبه حب الآجلة
فقلت بالله عليك أينما
فكف اذا عاين نفسه على
لأنه أخذها براسها
وقبل اليد لها وعظما
فقال هذا مرض القلوب
فقلت فانتصر برب العاجلة
فهاكذا استدارت المحاورة
لأن بعض النكرين ينكر
فربما يرجع ان بين له

إلى ركوب السفينة

ثم لبثنا خمسة وعشرة
ولم نزل مدتنا المختارة
تأتى لقصد سعة المبرة

هى المقاصد بغير خلف
من كل بغضاء وكل حب
أو للذى يحبه الرحمن
وتنجلى عنه عيوب حسه
فى كل ما يذره أو يرنى
يزهد والسنة بالزهد فمن
قطب الرّحى والرتبة السنية
ذكرته وسيلة فلتفهما
ما كانت الاضحاب قبل تعمل
لها أصولا عند كل من صلح
لكم أيضا يا جميع العلما
ابصارهم ، أولا ؛ فقد عشيتم
بل توسعون القوم دوما ظلما
قولوا بحق وانفضوا بالحجة
أم تركها ورا ، وحب الآجلة
فور وتترك سواها هملا
لله والرسول بالاعلان
فربنا يسمع من قريب
والبدعة الكبرى بحب العاجلة
أبدع أو سنن قل ههنا
أفصح بدعة بدت بين الملا
ورجلها وركنها وأسهها
وقلبه لحبها قد سلما
أهلكننا بثقل الذنوب
ليس الدوا الا فى الاضطرار له
والقصد أن تشفيه المناظرة
عن حسن قصد غره ما ينظر
ما قصد الصوفى فيما عمله

لدى الصويرة بطيب عشرة
منتظرى سفينة التجارة
فى الدين والدنيا بلا معرة

لأن ما يركبها الحجاج
ثم أنت فساد سيد الى

بين الاديان

فقال لي وكيلها النصراني
غيرك بالخمسة من ريال
فقلت للخمسة من أصحابي
فرجعت بدا الى أربعة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله
لأنه بمنزل عن معرفة
من أين يدخل فليس باب
أهل الكتاب كلهم قد أدعوا
وليس عندهم سوى الجهل على
فكل من لم يعرف الرسول
وكان عارف رسول الله
لو كان هذا الدين بالعقول
لكنما العقول في احتياج
والقائلون في فجاج الدين
وكلهم في دينهم سواء
فالقطب لا يختلفون فيه
ثم أتى التغير في الاديان
ومن جهالة من الاحبار
من بدع ابتدعت في الدين
فغمرت ما كان أصل الدين
فعاد أصحاب الكتاب اكفرا
لكنما الرحمن كل حين
فكلما انخرم دين جيل
حتى اذا أفسد أيضا ذان
فارسل القرآن ثم حفظه
فكان مذ مجيئه منفردا
فكان من فارقه لم يدرك
وكيف يخلص اذا توجهها
والدين والاخلاص والايمان

تضييق حتى يكثر اللجاج
وكيلها مرغبا أن يقبلا

تركبها أنت بلا أثمان
لطنجة وذ بلا مقال
نقسم ما ترك كالأحباب
مع سدس لواحد في العدة
لله بل ألها من عمله
لله بل كان أسير المتلفة
له فقد تراكم الحجاب
معرفة الله ونحوها سعوا
حقيقة والكفر جهل اسبلا
لم يعرف الله ولا السبلا
يعرف ربه بلا اشتباه
فقط لما رأيت من جهول
الى الذي يقود في الفجاج
رسل الاله بالسنا المبين
وان تباينت لهم أشياء
معرفة الله بلا شبيه
تدرجا من غلط الرهبان
فاتبعوا الاعيان بالآثار
قد رفعت كالبند باليمن
غمر سيول النهر للعيون
من المجوس لدعاو تفتري
يجدد الاديان بالمبين
أتى بتسورة أو الانجيل
أتى بسيد الورى العدنانى
من أن يغير بلفظ اللفظه
بالحق وحده وغيره سدى
كيف يرى الخلاص يوم الحشر
بعمل لوجهة قصدها
والعمل الصالح والايقان

يخرمها في اليوم من لا يتبع
فكم وكم من زاعم تدينا
يجهل بعد ربه الذي خلق
يجعل لله شبيها بعد
لذاك يحشر جميع الخلق
فالكل بالقدر الذي قد عرفه
لذا ترى الاصحاب فوق الكل
ثم الذي يليهم في العلم
ويعرف القوم على الاطلاق
وارتعدت فرائض الاقوام
هو الرئيس باطنا وظاهرا
وكل من أحب رسل الله
لذا الذي ترى يوم الحجا
وهو من الاشواق في بكاء
وحبه آية حب الله
ومن علامة محبة الرسول
وحبك السدار التي سكنها
وذلك الفج الذي قد سلكه
ألم يكن ذلك حال صحبه
يغدونه في الحرب بالنفوس
وان أتى يوم السلام مقبلا
وكل من سمع كان يهرع
فبعضهم مقبل يديه
وذاك من محبة الرحمان
وكل ذا وانهم يعتقدون
فأين ذا مما يرى النصارى
فالحمد لله على الاسلام
اذ كان في الاديان دينا وسطا

تدين السوسيين

ولبنى سوس من المغاربة
وأهل ولتيت عليه جبلوا
فاقوا بذاك كل أهل سوس

كلام هذا الدين أو لا يستمع
وهو يقول في الملا أنا أنا
عظامه ولحمه من العلق
سبحانه سبحانه لا ند
بقدر معرفتهم للحق
به غدا يعرف رب عرفه
لما لهم من علم خير الرسل
بعد يفوق غيره في القوم
حقه في معرفة الخلاق
لارثهم من سيد الانام
ويج الذي يرى لهذا ناكرا
فمجتبى بنظرة الاله
يختار اذ يقطع فجا فجا
من حبه خير الانبياء
كما أتى ان لم تكن بساهي
حبك ما مر عليه من سبيل
ثم المدينة التي قطنها
في يوم حبه الذي قد أدركه
في السلم ان لاقوه أو في حربه
وبظهورهم وبالرؤوس
طار اليه بالتشوق الملا
تبركا به اليه يسرع
وبعضهم مقبل رجليه
وقد بدا في عبده العدنانى
فيه العبودية ليسوا يعبدون
في ابن التي قد سادت العذارى
وكل ما فيه من الاحكام
مسدا لاهله كل الخطا

جد علوا في الدين منه غاربه
من ضمهم سهولهم والجبل
طرا وأين الرجل من رؤوس

فاقوا برغبة لدى التدين
وبحياء في النساء لا يزول
وعفة ورافة ونيسة
وقلة من الخطام الغاني
فهذه الخصال قد فازت بها
ثم بهم يمتد ظل الدين
جميع من بحوزهم قد وصفوا
يقر جيرانهم بذاك
وذاك ظاهر وقد تبينا
ذاك ومن كانوا جوار سوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كذاك
جيران أهل سوس في الحدود
فجل تر الاسواق والمداشرا
من كان في مخدع أمه جهل
وذاك جهل منكر خصوصا

تدين المغاربة بالاجمال

والزهد في الاكثار والتزين
ورثه فروعهم عن الاصول
وهمة كهمة الصوفية
وكثرة الخوف من السديان
ولتيئة في كل آل شعبها
في كل ما يلي من القطين
بوصفهم وبهم قد شرفوا
اذ أدركوا من يمنهم ادراكا
والصبح لا يحتاج أن يبينا
أفضل في الاركان والاسوس
جيرانهم أيضا فحقق ما هناك
فاقوا جميع الغرب بالشهود
فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
كل الذي بدارها لم يتصل
ان كان عن ذي قدوة منصوصا

ثمت أهل المغرب الاقصى هم
جميع ما في الشرق اما قيسا
فبدونا أعرف بالاديان
وذاك كله شهر يذكر
وقد رأيت ذلكم عيانا
وذاك كله بنسبة القرى
أما المدائن فقد كفى الورى
يأثره بعض الرواة خبرا
فذاك من معجزة الرسول
لانه قد قاله من قبل ان

في الدين بين غيرهم تقدموا
بهم يقال بيس بيس بيسا
من بدوهم للحفظ للقرآن
في كل مجلس تراه يؤثر
ثم اختبرت أمره أزمانا
في الشرق والمغرب من غير افترا
في المدن امتى وبعض في القرى
عن الرسول أو روه أثرا
ان صح عنه رفع ذا القول
يكون للامة في المدن السكن

* * *

تبرك الناس بالحجاج

رجع بنا فقد أطيل القول
وقد ذكرنا كيف الاكثراء

وقد يطول ما مددت ، الحبل
وقدر ما كان به الكراء

ثمت ودعنا هناك الصعبا
وكل من تلقاه في السبيل
تبركا بالنية المستصحية
والدين مهما خالط القلوبا
وكل قلب لا يلين بالوداع
فليس بالممكن بعد أن يلين
حند التبرك بنا ومثل ما
ومن تشوق ومن عويل
سيف الصورة فمن هنا

استمناح الحجاج

ثم أتى دور المحاسبات
وليس بعد لك من مصحوب
فكل من تلقاه فهو طامع
فأنت من يزور بالدراهم
لأن ما منحته اليوم غدا
فمن تكون له هذى النية
لأن كل من درى ممن ترى
وعيشهم من ذاك لا غير فهل
لأسيما أهل الحجاز الضعفا
لأنهم جيران سيد الورى ،
أولاهم وصبرهم لما غدا
فصحح النية في العطاء
أولا فلا بد من المنح ، وإن
فكل من له يقينا علم
يسدد السهم لكي يحوزا
لعلمهم بأن رب الحج
وأنه لو لم يكن غنيا
ما جاء في الفجاج والبحور
فكل من لقيته يلين

كلهم مستصحبين الربا
يزور منا زائري الرسول
والكل قد أعلى بشوق منجبه
فجر من شغافها سيوبا (١)
حتى يهم بالضلوع بانصداع
بل هو كالصفحة في الطود الرصين
ذكرته من الغليل والظما
عند مرور زائر الرسول
غادرت ذاك الصيد والشباكا (٢)

وقول هاك في العطا وهات
إلا الذي خبات في الجيوب
منك إذا ساهلت أو منازع
لكي ترى خير فتي مساهم
مدخر لك ستلقاه غدا
فلا يسمى ذاك بالرزية
أنك حاج قال بالطبع (أرى) ٣
يلومهم سوى الذي كان جهل
فلهم حق تطلب الوفا
قد صابروا اللأواء في أم القرى
ذاك الحجاز مع فقر منتدى (٤)
إن شئت أن تفوز بالجزاء
كرهت أو غضبت من لكم ومن
أنك حاج له منك سهم
من حظه عندك لن يجوزا
يصحب مالا قبل قطع الموج
في قطره أو لم يكن سريا
بشمن غال ملى الشهور
كلامه وجهه يبين

- (١) الشغاف بالفتح : غلاف القلب • حبته والسيوب : السيول •
(٢) سيف البحر بالكسر : ساحله (٣) أرى : بالشلحة : أعطنى •
(٤) أى منتدى مقصودا •

فاعلم بأنه حلف ناب
وجلهم في ذلكم سواء
من لم يردده منك ليس يجلس
وذاك في غير الحجاز أيضا
رأيت ذا في سائر البلدان
وليس في جميعها أنيس
لكنما الانفاق بالاجمال
لأنه يجعلهم في الراحة
أحسن به في طاعة الله
هذا وإن عادة الاسفار
من لم تكن تعرفه لله
بل إلى تعرفهم لله

نفقتهم

انفق كل واحد من صحبي
وللكراء ولشد حزم

في السفينة ووصفها

ثم ركبنا في ضياء الجمعة
فقلت باسم ربنا مجراها
وحين أجريت العيون حولها
وشمت مالها من الكيفية
وجدتها أكبر ما بطني
أن يبد من أوصافها لسانى
فذرعها كمائة في الطول
وعرضها حقا بخمس عشرة
فيها ثلاث طبقات تسع
سارت بنا في وسط النهار
وغير دوخة ولا فتور
وجدت فيها صحة في البدن

يظهره أن أنت منحا أبى
وقصدهم جميعه العطاء
إليك ساعة وليس يونس
كأنما كل الانام فوضى
نزلتها طرا بلا نكران
إلا دراهم حواها الكيس
للسفر من محاسن الاحوال
فهكذا الراحة بنت الراحة (١)
أصبح به في سخط لله
تراكم الاشغال والاغيار
فهو بأشغاله عنك ساهى
قد يختفون عنك باشتباه

عشر ريالات لنيل نحب (٢)
من المتاع ولنقل فاعلم (٣)

سفينة طويلة موسعة
في بحرها وباسمه مرساها
ولوحها وطولها وطولها
وحركات سيرها الخفية
حين استبنت سرها بعيني
فليست الاخبار كالعيان
مع الثلاثين على المنقول
من أدرع أن لم تفقها كثرة
ألفين أو أزيد بل لا تشبع
بلا اهتزاز السفن الجوارى
كأنما نجلس في السرير
أكثر ما أكون بين المدن

(١) الراحة الثانية بمعنى الكف

(٢) النحب : الوطر والحاجة

(٣) الحزم بضمين : جمع حزام

لأننى وافقتى هواؤها
فصرت أكل جميع ما أشا
وكان هذا الوقت وقت صيف
ونجمع الصلاة فى الجماعة
مع الوضوء دائما وكل ذا :
لان همى كله فى السفر
فجاء ذا والحمد لله كما

حذاء اسفى

فوصل الظهر بمرسى اسفى
وذلك الفلك كان لم يسر
جزنا مدى يومين فى الصباح
كأننا ما زايلت أعيننا
أليس ذا فى البحر والسفين
فيوقن المومن من رب الورى
فكل ما يريد يكون
أمر نوحا فبنى السفينة
فاقبلت وأدبرت فبانا
فمخرت فوق البحار الطامية
لكنها مخوفة بالقدرة
تقطع فى الساعة ما لايقطع
سبحانك اللهم ما أجلكا
هوئلى لآل عبدة والشظما
لأن أسفى بنيت بينهم
ونحن فوق ثبح البحار
ومن وراء العشاء والعشاء
تحسبه فجلا لدى العشار
والموج من أمام أوخلف كما
منتظم عند التقاطع السوى
هذا ونحن قائمون فى مهاد
ولم تكن نشعر بالسير الى

وجوها وأكلها وماؤها
بشهوة قد وافقت ما فى الحشا
والسير فى اليوم كمر الطيف
مع القيام أن تحل الساعة
من فضل ربنا الذى نفى الاذى
حفظ الديانات لنيل الظفر
أحب كل سفر متمما

والبحر وهو لانرى من خوف
ونحن فى الحضر لا فى السفر
واننا فى الانس وانشرح
مرسى الصويرة المتين الاحسا
مما يقوى صحة اليقين
مقدرة مطلقة من العرى
ويستبين سره المصون
كأنها فى بحرها مدينة
من قدرة الخلاق ما استباننا
كريشة فوق المياه طافية
تقهر من موج البحار غمره
يومين بالرجل اذا ما يسرع
هل مدرك حول سواك حوالكا
وآل حمر ما رأينا اليوما
فانههم جيرانها انهم
نلاحظها بشاخص الابصار
طار بنا الفلك على الدأما
ان تابع الشقاشق الجوارى
يثثر السحب بريح فى السما
عند الربى وسط بسيط مستوى
بقرش وئسيرة وبوساد
أن طلع النور علينا وعلا

ازاء الجديدة

إذا مدينة الجديدة التي
كانها خريدة تزيت
جديدة لانها لم تبطل
قد سميت بريجة لانها
كانت جنس البرد فيز قبل
والارض من دكالة الفيحاء
نزلها بالكيد في سنيها
وهو الذي أسسها وشادا
وشيد المرسى بها تشييدا
حتى اذا تمت له الآجال
فأخرجوه مرغما بالقوة
فرد كيده بوسط نجره
قتلكم مدينة الجديدة
قد أسست أسسها على التقى
وقف فيها الفلك للزوال

في مقابلة البيضاء

تمت أقلع فهب جاريا
وجائبا للموج مثل الجبل
وهذه مدينة للشاوية
ولم تكن قديمة ولكن
ثم أدير السور حولها كما
كانت تسمى قبل ذا بأنقا
فقلب الوصف عليها وبها

في مجاورة الرباط وسلا

في آخر الليل جرى مركبنا
ثم بدا الرباط في جنب سلا
بينهما نهر كما التنين

تعرف عند البعض بالبريجة
بجليها ووشيتها ثم دنت
أصمى بها الكفار من لم يخط
ذات بريج حارس سكنها
تنزلها قوته والحول
لكنه قد كاد بالضرأ
كثيرة يسكنها مكيها
من سورها الأركان والعمادا
وطدها كما يشا توطيدا
دب له في المغرب الرجال
وبالشجاعة وبالفطنة
فغادر التنين وسط حجره
مشكورة مهدوحة محمودة
من بعد أن كانت لأصحاب الشقا
ينزل أو يرفع بالتوالي

مقاربا للبر بل معاذيا
فحل بالبيضاء عند الطفل (١)
سكانها ممسية وغادية
كانت بها من قدم مساكن
يصر منه من اليها قدما
وبعد بالبيضاء لدار وصفا (٢)
تعرف عند عجمها وعربها

مدججا والليل لا يرهبا
كدوتين في جبين يجتلي
يسع ما يلج من سفين

(١) الطفل محركا : العشى .

(٢) ورد في المسالك للبكري اسم البيضاء مكان يقارب هذا المحل

وكثرة الزوارق العوامية
فبعضها يفرغ ما فى السفن
لكنها ان ولجت فى البحر
وذاك من شدة ما تراه
ظاهرة صعوبة فى البحر
ان الرباط مبدأ الغرب كما
ثم أتى ركب من الحجاج
وكلهم أحبة أجلة
اثنان منهم صحبا نجلين
وواحد كان مع الخليفة
كل محبة اذا لم تقترن
فانها محبة ممقوتة
وفيهما أيضا فقيه فيه
قد غمرته غمرة الانوار

الحب مدعاة للوصال

انظر الى الناس مشوا الى النبى
على متون الحب والاشواق
ولم يبالوا بالذى قد خلفوا
وليس من لم يصل الحبيب
ان كان باب الوصل مفتوحا ولم
ثمت لم يقدم محب للوصال
ولم يشم ريح حب قلبه
أيلج المقيم الاخطارا
ويعرض الخوباء للمهالك
ويتمتع بلمحة وقد
ثمت يكسل الذى قد زعما
وقد تيسر له الوصل وما
فان هذا أكذب الكذابين

على اشتغال أهلها علامة
وبعضها نزه من فى المدن
تعلو وتسفل كمن فى السكر
من موجهها ان جاشت المياه
هناك دائما مهر الدهر
هو حوز منتهى فلتعلما
قد خلصوا ليسوا من الامشاج
أعزة فيما بدا أهلة
لكل واحد بغير مين
فهكذا المحبة الجليلة
فى الله بين اثنين فى كل قرن
قد ضيعت لربها وقوته (١)
محبة النبى وصاحبيه
كالبدر ان أشرق فى الابدان

بزوجة وولد محب
والدمع ينهل من الآفاق
متى تتم بدرة استأنفوا
صبا وان زعم أن أذينا
يك رقيب لا ، ولا كان ألم
فذاك أكذب الورى فى كل حال
فقد بدا على العيان كذبه
ثم يخوض فى العدا الشفارا
كيما يواصل الألى هناك
جالس من حبه فى القلب اتقد
ان كان من حب النبى فى ظما
جاد بما يملكه من كل ما (٢)
حر بكل العيب من عيابين

(١) جمع وقت

(٢) أى من كل ما تحت اليد

الحج بين اليوم وامس

من الصعوبات فمن تعويق
ان كان عزم كل ما تطلب
فى البحر نحمل الى الحبيب
مثل جلوس المرء فى أهليه
ان شئت أو فوق ذرى السرير
ففى هناك ساحة قد تجدى
فما الذى بعد فقدت أنتا
لا يستطيع الحج غير من ومن
فى نحو عام مع بعد الشقة
فى آخر ، والقرقر قفر عات
فكم وكم نفس هناك تفقد
حج اذا ما صادم الاهوالا
دينهم بهم وحقا أدوا
ولا بما يلقون فى المضيق
ولا باعياء ولا كل ألم
خلقهم بلا تطلب ثمن
وادركوا لذة من قد يصل
كالطيس فى حجهم والعمرة (١)
عجز وبخل وقتور يصم
كن قل من يؤمه من الملا
والشيخ والشيخة كالعيال (٢)
فربنا يكون فى المعونة
تقوى الاله خالق العباد

وكل ما يزعم فى الطريق
فكله سهل وليس يصعب
أكرمنا الكريم بالركوب
واننا جالسون فيه
على فراش حسن وثير
وان تكن قليل ذات الايدى
تصل والناس جميعا وقتا
فأين ذا مما حكوه فى زمن
لا بد من جوب قفار برقة
يذهب فى ذا العام ثم يأتى
والامن فى الطريق ليس يوجد
حتى أتى عن بعضهم أن زالا
لكن أهل العصر ذاك فدوا
فلم يبالوا باختلال الطرق
ولا بمشى حفيت به القدم
بل أخلصوا وجهتهم لوجه من
فهم حقيقة دروا ما فعلوا
ومع ذا فانهم فى الكثرة
أما بنو هذا الزمان فهم
قالله قد يسر ذا الحج ، ولا
يصله ذو المال والاعمال
فكن بقدر الطوق ذا مؤونة
تزودوا فان خير الزاد

* * *

وصوته كالرعد حين يلهب
هو الذى سيرنا فى البحر

وفى انتصاف الليل سار المركب
قالله من سيرنا فى البر

(١) الطيس بفتح فسكون : الرمل

(٢) هذا فى زمن صاحب الرحلة ٠ وأما اليوم فليس فى الطريق الا نحو ١٢ ساعة

اياك ان تنسب كل فعل
فارع الشريعة مع الحقيقة
من ليس ذا جمع لها ذين فلا

في العرائش

وفي الصباح بدت العرائش
وهي قريبة من المرسى كما
والبحر صعب كالصعوبة التي
تري الزوارق ترنج كما
وقل ما انزله أو رفعا
بعد المساء صار في الظلام

في طنجة

وفي انتصاف الليل كانت طنجة
وكل مرسى حله ما دخلا
لكونها قريبة من بلده

الاندلس

بره ان كنت بها تراه
وذاك بر كله نصارى
وفيه ايضا كانت الاندلس
يبصر رأى العين ذاك البر
رده ربنا الى الاسلام
فانه قد كان في سنيينا
دار الهاذا الذين ثم ذهبوا
في تاسع القرون كان استولى
وبعد ما هدم بالكفران
خرج للبر الذي يليه
فامتد ما امتد فكادت تغرق
لاكنما الله أغاث الغربا
وبينى الترك فكفكفوه
بذا نجا من كيد هذا الجنس

لغيره كذاك كل قول
بالجمع تفهم رتب الطريقة
يكون فى تلك المعانى بطلا

كالنصل فى السهم لواء الرائش
قاربت الحدود أنفا وفما
صرت هناك فى الرباط الفذة
يعربد السكران حين احتدما
مركبنا هناك ثم ودعا
والليل والامواج فى الاظلام

ازاءنا فى زينة وبهجة
فى الليل الا ذا ففيه نزلا
وما بها من أهله وعدده

من غير بعد بل ترى قراه
عدهم ليس له قصارى
تلك التي تبهج فيها الانفس
وليس يخفى سره والجهر
وما عليه كان من أحكام
كثيرة قد جاوزت قرونا
بجنس اصبنيول ثم اقتضبا
عليه اولى له ثم اولى
جميع ما فيه من الايمان
بطيس جند وبالمويه
به بلاد الغرب حتى المشرق
بئال سعد الاصفياء النجبا
فبعد أن داروا به كفوه
مغربنا اذ ذاك قرن خمس

وقد أتى أيضا بوسط القرن
لكنه هزم في تطوان
بئان بعد أن حبي بهال
ثمت جاء جنس آخر أشد
في نحو خمسين بثالث عشر
استخدم الحيلة والحرب معا
وليس يعجل إلى الامور
قد ضبطوا أنفسهم من قبل
تواصت الاجداد والاولاد
فاقبلوا بخيلهم ورجلهم
إلى أن استولوا على البلاد
فطنبوا واسسوا وقربوا
فما رأوه نافعا لديهم
وكل ذا سياسة اختيرت
وما نسوا ما شاهدوا في الاولين
انظر فكم مضى وراء الافدلس
فلم يزالوا في اجتهاد واحتيال
وأمرهم ما بينهم جميع
والحرب بينهم سجال في لاوغى
وذاك من ترك الجهاد والالى
لما قلا سلطاننا الجهادا
جاش العدو فعلا واستحوذا
ثم غدونا للذى تدريه
فهكذا ما قد رووا عن الرسول
ان أمتي قد تركت الجهادا
ولازمت وراء أذنان البقر
سلط ربي ذله والكفرا
حتى يراجعوا أصول الدين
لاشك أن هذه الدواهي
فذلك البر مضى جميعه
وهذه الجزائر المسكينه
كذلك تولى الذى قد تونس
فليس باقيا بهذا الغرب
سوى طرابلس تلك وحدها

هذا الذى انقضى لنشب السن
بجيش مولانا الرضى السلطان
فذاب كالتلج لدى اشتعال
من ذاك والرمى بكفيه أسد
أخذ في استيلائه على البشر
والوعد والوعيد ثم الطمعا
بسل يتبع الامور بالتقدير
فانتظم الفعل لهم والقول
أن ليس يبقى فيهم فساد
وكيدهم ومالهم وحولهم
فقبل الكفر لدى العباد
وابعدوا وعمرؤا وخربوا
ساد وأدنوا من رضوا اليهم
قد جربت من قبل ان قد سرت
اذ غلبوهم بنصر مستبين
والمسلمون لهم فيها انس
والمسلمون فى ازدهاء واختيال
والمسلمون شغلهم صديع
حتى علا الكفر الهدى فلدغا
قد تركوه يغلبون فى الملا
ولازم العيسال والمهادا
وملا العباد خسفا وأذى
من الذى تراه من كربه
وقيله أصدق قيل اذ يقول
وألفوا المحراث والسمادا
ورثمت هون الجبايا والصغر
عليهم ولا يرون نصرا
ويدفعوا دونه بالمسنون
منا من الاقرار للمناهي
وقد خلت من ديننا ربوعه
قد ذبحت أيضا بلا سكينه
ياويح من ضمت بنهم تونس
ما مسه الكفر بذيل الجنب
وساحل المغرب هذا بعدها

فهكذا قد دالت الايام
فرجع الكفر الى اماكنه
فربنا ياتى بوقت خير
فجعل تر ذاك الذى قد وقعا
رجع بنا الى الذى تركنا
نزل بعض راكبي الصورة
وذاك انهم يريدون المسير
فسرت والشقيق عبد الله
بقصد واحد لنا بتونسنا
كان بها ابن أمة من جدنا
فقلت لابد لنا من أن نجوز

في جبل طارق

فأقلع المركب للمسير
فطار فى تياره مورده
فكان برنا على نحو اليمين
كلاهما بقربنا والبحر
فمن يرد برهم فهو يسير
ومن تكن بلاده قد أم
نسير والطرف يشاهد القرى
وسببة من برنا ذات ارتفاع
أخذها من قبل ذا النصرانى
وذاك فى أول قرن التاسع
يا رب زدها الى الاسلام
فهكذا جزنا المجاز والسفين
ثم وصلنا عند وقت العصر
ثم نزلنا طارقا فى المرسى
لطول مرسى السفن فى ذاك الجبل
هذا وذاك جبل مضاف
رباه موسى بن نصير سيده
قد كان مولى ثم صار مولى
فهو الذى فتح أرض الاندلس
وكان ذاك الجبل المطلس

للكفر حين استصعب الاسلام
من أجل فتح الصحب خيرساكنه
يعز دينه بذل الكفر
لنا فما راء كمن قد سمعا
فللحديث طرق يسلكنا
معى دعت بذلك ضرورة
قصدا واننى لتونس أدور
مع الحجيج من رباط الله
انقلها منقذ جسم يونسنا
من لد عشرين مضى من عندنا
لده أجر صلة لكى نفوز

عند الزوال معلن الصغير
جبل طارق الذى يقصده
وفى الشمال ذلك البربين
قد رق حتى قد علاه البر
الى شماله لدى وقت المسير
يؤمها نظيرنا امام
فى برهم على الشمال وورا
كانها يد تمد للوداع
بالكيد والقوة والطغيان
ولم يجد نداؤها من سامع
بجاه خير الرسل والانام
تاتى وتذهب يسارا ويمين
وكل ذا والفلك دوما يجرى
وفلكنا من بعد عسر أرسى
كأنه فى الطول حلقوم الجمل
لطارق من ربنا الاشراف
فشابه الاسد وثبا ولده
فكان بالمجد الاصيل أولى
فتحا أداى أرضها دار العرس
اذ جاء نزله ونعم النزل

ثم أضيفه اضافة الشرف
فبعد أن رست بنا السفينة
بربعين كلنا قد نزلنا
فاذ نزلنا ودخلنا في الزقاق
قد حلقوا جميعهم علينا
كأننا قردة فسي الملعب
ثم النزول كان في الاصيل
فجرت في المكان كيف يوجد
ومن يلدق قبل اغترابا يدرى
وليس في الجبل غير الكفر
قيل جميع المسلمين يطردون
قد زعموا أنهم لصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل
فرجع الكل اليه واقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول
ثمت جزنا الباب والاوراق
فطلت أسأل عن القنصو الذي
فهو يسمى عند كل سعيد
قد كان رقا للذي كان هناك
فخلف السيد في المقام
جئنا اليه غرباء معلمين
فقام مسرعا يفتش كما
وذاك ما يدل أن كان له
كنا (يح) (١٨) اصاحبا اخوانا
ولم نرد تفرقا فوجدنا
خمس ليال قد عزمنا المكثا
ويجب الربيع لكل ليلة
ثم هناك ما يكون أغلى
وقيل ليس موضع فيه الغلا
وذاك كله من أجل الثروة
ديارهم جميعها قصور
كذلك الاسواق جمعا بنيت
فيدهش المبصر مما ابصرا
تقول زهرة الدنيا بأسرها

وكم اضافة كمال وشرف
ملنا الى النزول للمدينة
بقدر ما كان الطلوع أولا
دير بنا حتى غدونا في النطاق
وطرف كل شاخص الينا
ومن يشم زيا غريبا يعجب
قبل غروب الشمس بالقليل
ومن نومه ومن سير شه
كيف يرى الغريب وسط قطر
سكنى ولا مسلم فيه ندرى
من الازقة لذا لا يوجدون
الله يعلم من اللصوص
اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فناول الاوراق كل الواقفين
من لم يحز منها فما له دخول
تمدد حتى دخل الرفاق
ياخذ أمر الناس خير مأخذ
خليفة السلطان مولانا السعيد
قبل فاعتق فزحزح الشباك
فكان من أفاضل الاسلام
بما أردناه من النزل الامين
يفعله لسيد من خدما
مع ربه اخلاص ما عمله
ونبتغى جميعنا مكانا
نزل بـ (يه) (١٥) من ريال عددا
هناك في جبلهم واللبثا
وذا غلاء ما سمعنا مثله
من الذي كنا ذكرنا قبلا
نظير من قد سكنوا ذا الجبال
ومالهم من جاههم والقوة
كجنة لو كان فيها الخور
مثل عروس يوم عرس جلبيت
مما يغفر كل من قد كفر
واتتهم بسرها وجهرها

أزقة قد فرشت بالعود
 كأنما فرشت أحسن القصور
 أما نظافة الظواهر فلا
 لو رزقوا نظافة البواطن
 لاكنما الدنيا لهم جنات
 وباغترارهم بها اجتبوها
 فاقبلت اليهم اقبالا
 لكن من دخل هاتيك القصور
 فليس يرتاح الى العشاء
 فعربات الخيل والبغال
 ولست تسمع كلام صاحبك
 وكل بنت من بنات الكفر
 وكل من يريد الانتقال
 كذاك من يريد نقل الامتعة
 وكل زبل في المدينة وما
 فهكذا كفوا مشونة العمل
 لذا تراهم والرؤوس في السما
 حقا لهم مقامة فخيم
 لكنهم وما أشد جهلهم
 اذ حرموا اتباع دين الحق
 لكنما الاديان بالهداية

في البحر الابيض المتوسط

ثم بدا لي بعد ليلتين
 لرمضان صادفتني في الجبل
 ان التحقت بسفينة الى
 أدبت في الكراء ما قد طلبوا
 وهذه السفينة الجديدة
 فطولها (قص) (١٦٠) من الادرع في
 وذى كما ترى أجل قدرا
 فذى لها في الطبقات أربع
 ومجمل القول لمن سيدرى
 لا تحسب في الوصف ان فيه غلو

والكنس من طبعهم المعهود
 للوافدين يوم أنس وحبور
 تسل فشانها لديهم قد علا
 بالدين كانوا خير كل ساكن
 لهم بها النعم والمنيات
 ثم حبوا في الحزم ما حبوها
 ولم يروا من وصلها مطاللا
 وشاهد الفراش منها والسرير
 لما يصمه من انصواء
 ترتج في الانهر والليالي
 من كثرة الهز الذي بجانبك
 تركب فوق عربات تجرى
 ينقله ذو العربات حالا
 فانها تقله ومسا معه
 فيده فقط يرى نقلهما
 قد قربت اليهم كل الامل
 كان كلا منهم ابن ما السما
 لو كانت الدنيا لهم تدوم
 قد اهلكوا انفسهم وأهلهم
 والرشد والخلق معا والصدق
 من يهده الله يسدد رأيه

احداهما (كنز) (٢٧) بغير مين
 ذاك فله الشنا عز وجل
 ملطة ثم تونس على الولا
 خمس ريات فذا ما يجب
 واسعة عريضة مديدة
 عشرين بل بعدد أعلى تفي
 من أختها تلك ومستقرا
 وتلكم لها ثلاث ترفع
 ان هذه مدينة في البحر
 فيعلم العلام أن ليس الغلو

فكل ما تسمعه عن السفن
فليس راء مثل من قد سمعا
ركبتها أيضا يوم الجمعة
فسار نحو القبلة المقصودة
من غير وقفة بهاذى المدة
وقد تبدى برهم وبرنا
ثم الى الظهر فلم يظهر على
وتلك اندلسنا المسكينة
فرينا بفضلته ومنته
ثم لدى الغروب لا يبدو سوى
وفى صباح اذ تجلى الاحد
كانت قبيل لبنى الاسلام
وفى صباح يوم الاثنين بدا
نزلها الكفار من سنيها
فانه يقطع لهم ما يرتجون
ثم هنالك جزيرة علت
ملكها الطليان وهو جنس
يوما وليلة يسار فيها
قريبة من برنا معزولة
كانت لنا ثم غزاها الطليان
ومثله الجنس الذى يسمى
لانهم قد منعوا قدامهم
قد ضرب الله عليهم ذلة
فانهم قد قتلوا كل ندس
وقتلوا وحرقوا وغربوا
وكاد يستولى علينا لكن
أما الذى ذهب بالجزائر
هو الفرنسيين الذى تقوى
سار الى اخواننا هناك
فمد ذيله عليهم قهرا
وجنس آخر يسمى انكليز
مفتخر على بنى الاجناس
يفخر ان له مع العثماني
وليس ذا بمفخر حقيق

فلا تكذب ما وعت منه الاذن
ولا الذى يجهل مثل ما وعى
فبهرت طرفى بطول وسعه
أربعة أيامها معدودة
كأنما الفرس شدشدة
فى مبداء السير نجيل الاعينا
برهم سوى ثلوج تجلى
متى يؤدى كفرها ديونه
يردها للدين ضمن ملته
تصادم الموج التظاما واستوا
بانت لنا جزائر تنفرد
ثم كساها الكفر بالانلام
بر لتونس كعقد نصدا
ثم اغتدى الحكم لهم مكينا
منها وان شاء الاله يخرجون
فى جبل كطلعة تهلت
آخر فلكه لديها ترسو
لا بد من بحر لقاصديها
عن برهم ذليلة مخدولة
فبزها بقوة وطفيان
اصبانيا بالنقص فيهم يرمى
من برنا وما جنوا مرامهم
مد قلعوا للدين منهم ظلة
واخرجوا دين الهدى فى الاندلس
اخواننا كما تقول الكتب
قووم فى الظاهر بل والباطن
وتونس فذاك جنس قاهر
برا وبحرا والجناح سوى
ففاقهم بالجند أو بهاكا
ثم أذاقهم وبالا بهرا
يزعم ان كان المفخم العزيز
ومن سواهم من جميع الناس
دوما يد فى كل ان ان
لدى عدو لا ولا صديق

ليس له بين الجنوس قيمة
وسفنه على الدوام تجرى
وعدها ليس له ادراك
ترى الى المشرق أو للمغرب
وهي على البحار كالدواب
أما عديدها بكل مرسى

لكونسه مفلل العزيمة
عليهم وللمنواحي تسرى
اعداً نجم له الادراك
وللشمال والجنوب فاعجب
فى طرق البر بلا حساب
فانه فات حصى وطيسا

في ملطمة

ثمت فى ليل الثلاثاء دنا
وفى الصباح كان عيد الفطر
واعجب العجاب أن قد عيدا
وانسى راقبت رؤية الهلال
هذا وان صفحة السماء
وقد تحققت ولم أشكسا
وحيث لم يكن هلال فى الاحد
وما جرى للتونسيين سوى
صاموا بيوم جمعة فى الابتدا
فانظر الى اختلاف أهل الزمن
لم يبق حق الوهم فى ذاك وقد
ملطا مدينة كبيرة غمدت
وانها لقطيع متفرقة
مشحونة بعاملى المراكب
وسفنه بين الديار ترسو
هذا لمن توطنوا المرسى وما
بناؤهم يناطح الشريا
لكن ماء الشرب ليس يوجد
لذا تظل جائيات ذاهبات
وكم بلاد ذات ماء جار
وملطة فيها من الانعام
ولست تعرف الذى قد نرلا
لكنهم ليس لهم من قوت
لذاك القوا كل عجز وكسل
فلهم الحزم على الدوام

للملطة بجريه مركبنا
وفيه قد زايلت متن البحر
بتونس الخضراء قبل الاحدا
عشية الاحد ثم لا هلال
كمثل المرأة للحسناء
فهل يغادر العيان شكسا
فكيف فى السبت يراه من أحد
أن تبعوا الحساب قبل باستوا
فاستيقنوا الهلال فى السبت بدا
من قلة اعتنائهم بالسمن
روقب صحوا يوم سبت وأحد
ديارها فوق الربا قد شيدت
باليم اذ خلجانه مدفقة
وبالالى قاموا على القوارب
بها ينال ما اشتتهه النفس
يسكن فى الداخل مما علما
كأنه كان لها نجيسا
ان فقد الماء فكل يفقد
لستقى الماء الجوارى المنشآت
ما قدرت قدر القراح الجارى
ما قد قضى بشدة الزحام
لكثرة الزحام ممن رحلا
الا من المجلوب أو من حوت
وراءهم فاقبلوا على العمل
فى كل ما يعمل للتمام

قد نظموا الامور بالتوقيت
فكل من فعل شيئا يسجن
ففيهم المسجون مدة العمر
مع عسكر مشمر مصفف
كأنه في لبسة الدبى وقد
يقف أو يمشى على المزامر
ولهم خان فخير فآخر
وعرباتهم تقاد بالخيول
فتلك ملطمة وذى أخبارها
أعزها الله بدين الحق
وهم بها فى سيرهم فى شدة
وهم على التحقيق فى التعذيب
دجاجة بربعين ترخص
وعندهم صنف من المعز يباع
عشر ريالات ويدعى الضياع
ضروعها كبيرة كالبقرة -
بتنا بها بأقبح البيات
لأننا لم نرد الغلاء
وذلك القبر على ضيق به
وذاك كل ما يحب المعنى
نبينا وأهله من اتقيا
قد برئوا من التكلف الذى
واننا فى البدو قد ألفنا
ثمت شمت منظر الجزيرة
تلايلات فى الليل بالضياء
وهى جزيرة بوسط البحر
ليست ببرنا ولا ببرهم
فجنس أنكليز من أقاما
مقرها بوسط البحر وقد
فتونس من جهة طرابلس
وبينها وبين مرسى مصر
وبعد مصر كان مرسى الشام
وقسطنطينية بعد الشام
فمصر والشام وذى فى برنا

فانتظمت لهم على الوقوت
بقدر فعله وليس يفتن
أومات جيفة كجيفة الحمر
ملف مزوق مخفف
يظهر كثرا وهو قل فى العدد
نصوتها النساهى لهم والآمر
حاطته فيما قد رأوا مفاخر
كانها فى جريها ماء السيول
قد استنارت فى الدجى أنوارها
ورد أهلها لاهل الصديق
يشد كل فى البحار شدة
دنيا وأخرى من سوى تكذيب
وليس فى أسواقهم مرتخص
بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
وانها أشرية لا تستطاع
تروى بخلة رجلا عشرة
فى قبر عود كذوى الممات
فهل تمد ربحا كراء
امتد كلنا به جنبه
ان الفضول خلق أهل الغنى
أمته كذا جميع الانبياء
لم يستطعه كل وقت محتد
صبرا ان اضطرعنا أو وقفنا
كانها بساتن نصيره
بسر كأنجم السماء -
ستين ميلا قد حوت من بر
بها توطن عظيم كفرهم
بها فكانوا فوقها حكاما
توسطت فلا تخاف من أحد
من جهة مصر أو بيت القدس
مسير أربع ان سرت بحرا
بينهما ثلاثة الايام
كما حكى من جال من أقوام
ووصلنا بالرجل فيه أمكنا

قد قيل أن ذى تجواه الغرب
والله يدري أى ذاك كانا
وكيفما كان فهذا البحر
حتى الى قسطنطينية التى
أو ما الى ما قد يحاذى الموضعا
وملطة المرسى لكل سفن
وكل ما تقصده تجد ما
اذ كل فلك له سير خاص
ثمت لم نبت بها أكثر من
كانه موج علينا سدله

إلى تونس

وفى النهار سار فلك فجرى
لكون مركب اليها ما وجد
أجرته ثلاثة لواحد
فخب فى البحر كطير أطلقا
وهو لمراء من فرنسيس وما
لكن ذا أصغر من ذاك سوى
تري الجميع فى الصباح قائمين
كان ذاك هو فرض الصبح
وذلك عادة لهم مستحسنة
كنا مع اليهود والنصارى
كل له دين وعادات فلا
لكن خير عادة للمسلم
أقبح بحالة النصارى أيًا
ليس لهم فى منظر ومسمع
صورتهم فى صورة اللباس
رأيت فى ملطة صنفًا من نسا
فقليل أصلهن من اسلام
وحال أكلهم كاكل البقرة
وليس من يجهر بالاكل حيا
فعزلة وخلطة سواء
لا يمضغون أكلهم بل يبلعون

بعد جسواز البحر ذا بالقرب
فكل ذاك ممكن امكانا
ماشاه من مغربنا ذا البر
بها بنو عثمان خير ملة
ان تك فى بر الشمال فاسمعا
مرت على البحر بشتى المدن
تركبه اليه فلكا معلما
يعلمه العوام والخصاوص
ليل طويل ضيق الحجر خشن
أرخی ليمطر علينا ويله

بنا الى تونس أنس من يرى
من جبل الطارق بعد ما اجتهد
لتونس الخضراء بشر الوارد
أسرع مما قد ركبت مطلقا
مضى لانكليزى فلتعلمنا
ان النظافة هما فيها سوا
بالغسل والتجفيف غير نائمين
أداءه سبب كل نجح
حسنة بالطبع أى حسنة
مجتمعين ثم لا ضارا
لائم كيف كنت يبدى العذلا
فى ملبس ومشرب ومطعم
كانوا على الاطلاق ليست شيئا
حال اشريفة وحسن مطبع
أقبح ما يكون عند الناس
بخمر كعهدنا عند النساء
ثم بقى ذاك على الايام
فى كثرة وسرعة مختصرة
بينهم فذاك مما ارتضيا
فالقصد أن يمتلىء المعاء
كل الذى قدامهم فيضجعون

وربما تجنبوا النعاسا
 وبالسَّمال أكلهم لم يألَوا
 وقد رأيت واحدا في المركب
 والحفل كلهم اليه شاخصون
 وفي يديه الخس والخبز معا
 وورق الخس غليظ وطويل
 يضعه والخبز قطعة كما
 فقلت ان المضغ واف بالمراد
 اذا به يبلعه بأسره
 وهكذا كأنما جن الرجل
 وهو بنفخ كاحتدام الضرم
 هذا ومقلته ترمى بشرر
 كنت أمامه فصرت اعجب
 فقامت في الحين فأمسكت القلم
 اثبت للسامع هذى الطرفة
 فربما حرمت الابصار
 ومجمل الكلام أن القوما
 خلق اللحا لديهم صواب
 ترى الشوارب لهم مثل اللحا
 وربما تجد من جابهم
 ومن تشبهه بغيره نسب
 (ان الطباع تسرق الطباعا)
 ما الكلب ما القرد وان كل قبح
 ذاك على ان الاله صانع
 تنزه الاله في صنعته
 فلنعظم العنان ان القولا
 عند الضحى بعد البيات ليلا
 تلالؤ في البر مثل الدرة
 كل غريب عندها حبيب
 نزلتها يوم الخميس الاول
 مدينة السر مع الصلاح
 مدينة الاخيار والافاضل
 والحسن والبهاء والجمال
 مدينة الفنون والعلوم

عشية يمشونها استيناسا
 سوى القباح غيرها لم يعرفوا
 يلتهم الخس التهام اللهب
 وهم بلحظهم اليه غائصون
 يقرض منهما بموسى قطعا
 مقدار شبر فيه أو هو الطويل
 يلقم فاه قنفا مملما
 يحصل منه قبل زرد ما يراه
 في لحظة ثم انثنى لغيره
 أوخاف أن تنسد للطعم السبل
 ان فتح الشدق لاخذ اللقم
 متى أجيلت في وجوه من حضر
 من صنعه والوجه منه أعجب
 بعد صلاة وقراءة الم
 يسمعها اذ لم يمتع طرفه
 وتمتع السامع الاخبار
 نهشهم كنهش ضار حما
 وترك شارب لهم كتاب
 وموضع اللحي كعود يلتحي
 من مسلم بالزى قد شابههم
 له وفي الصحيح حقا قد كتب
 وذا مشاهد فلا نزاعا
 أقبح من طبع جهول ما صلح
 ما شاء من خلقه لا مانع
 وما على الكون سوى صبغته
 ما مد بالقلم مد ذيل
 في البحر بانت تونس كليل
 في نجر حساء كعاب حرة
 وكل من سكنها أديب
 ثالث فطر شهر شوال الجلي
 والرشد والارشاد والفلاح
 سكانها من فاضل لفاضل
 أوصافها التي لها الكمال
 والحفظ والتدريس والفهوم

مأوى الامام العارف ابن عرفة
 كنيته اشتقت له من معرفة
 ركن العلوم طول عمره بما
 وجبل الدين وفخر الورع
 كان الاشتقاق من أبيه
 فجاء شبهه على ذاك العلم
 يكفيه أن أم على طول الحياة
 قد ضم للعلوم من تدين
 وليس عارفا لاهل الفضل
 لكن اهل الدعر والاشرار
 فالخير لا يعرفه الاشرار
 والخير كالذهب في المعادن
 ولا يعاينه من لا يعرف
 فالطيبون الطيبات ألفوا
 كما الخبيث مثل جعل ان بين
 كذلك الشيخ الامام عرفة
 وجامع الزيتون في الجوامع
 فلا يقاس كنهه مساحة
 أعمدة كأنها نخيل
 قد نحتت من الرخام قبدت
 وبعضها تعددت ألوانه
 ففي مصلى العالم ابن عرفة
 وقد رأيت عجبا في البعض
 خطا بلون خلقة الخلاق
 واسم ابى بكر واحرف عمر
 وذاك من خصائص الزيتونى
 وهو منظم كبيت العرس
 فلا قذى يوجد في فرشته
 سرجه في الليل كالنجوم
 طلبت عدها فست أحسب
 هذا على الدوام في الليالى
 أما اذا جاء احتفال ليلة
 فانها أضعاف أضعاف السدى
 وهو مكان العلم والاقراء

عرفه بعلمه من عرفته
 وذاك ما يعلن دوما شرقه
 أشاد بالتأليف بين العلما
 وذاك قد ولج كل مسمع
 جاء على حق بلا تمويه
 (ومن يشابه أباه فما ظلم)
 فى جامع الزيتون فى كل صلاة
 ما كان كالمثل طول الا زمن
 سوى ذويه فلتكن ذا فضل
 ليس يرى منهم سوى الانكار
 والشر لا يعرفه الاخيار
 وليس يدريه سوى المعان
 وألهمه لا يدرون ما قد عرفوا
 وادركوا من طيبها وعرفوا
 ورديمت اذ ما درى غير التن
 من كان يدري من هو ابن عرفة
 مكلل بخير وصف جامع
 طولا وعرضا وبنا وساحة
 وعددها للمعتنى يطول
 بيضاء أو دكنا اما قصدت
 فيبهر العين بها عيانه
 خمس أساطين علت ملففة
 من الاساطين لنحو العرض
 اسم محمد برسم باق
 ثم على ذاك بسين ظهر
 حفظه الله مدى القرون
 فجاء بهجة لكل نفس
 ولا أذى موزد لمفرشه
 تهتك سجع المظلم البهيم
 الى الثمانين فعز المطلب
 كالتاج اذ يستطع باللئالى
 وأوقدوا فيها المكان كله
 عدته فقس بذاك تحتذى
 يطفئح بأجها بهذا لجما

فى كل جانب به مجالس
 وكل من جلست جنبه ارى
 بيدى لدى التدريس من تدقيق
 قد كنت احضر هناك كلما
 فكنت أشهد به عرائسا
 فيأخذ المدرس الكتابا
 فربما يراجع المشكوكا
 فكل من يسأله يجيب
 حتى يتم الدرس مثل ما ابتدئ
 هذا ولا ترى سوى تواضع
 وذاك طبع أهل تونس على
 تواضع فى ضمنه تسامح
 فكل من لقيته يصبح
 حضرت فى صبيحة مدرسا
 فى جامع الزيتون يوم اثنين
 والقصد أن أحوز فضل العلما
 والفضل بالاجماع عند العقلا
 فكان يدرس أبا الضياء
 وهو لمن بجامع الزيتون
 وهو كبيرهم على الاطلاق
 كان يقرر لدى باب السلم
 أجدر به لذلك أن يكونا
 فكل وصف كان يوصف به
 وكل ما يمكن أن يزره
 وبعد ما أتم درسه وقام
 فبعد أن تمت توابع السلام
 فقلت قد كان بصورة كذا
 فجلت معه وأنا لا أحتذى
 فاذا رأى الفجر بدا فى السدف
 فمال لى مستجمع الاطراف
 والناس كلهم مضوا سوى ابنه
 وهو كبير السن قد يعتمد
 ووسمه محمد النفرى
 وكان مفتيا زمانا فأقبل

تعرض من أبحاثهم نفايس
 ذكاه فى البحث كالغضب فرا
 فى كل بحث منتهى التحقيق
 أقبل للتدريس فيه العلما
 تجلى متى أطرق لهم مجالسا
 بيده وان يكون عابا
 أولا فيبقى عنده متروكا
 بسرعة كالبرق اذ يجوب
 بالفهم فى المدرس كالزهر الندى
 من سائل أو باحث أو سامع
 ما قد رأيت له لدى كل ملا
 تالين يزينه التصافح
 بالخير باسمه فلا من يكلج
 برخصة قدمها من انسا
 فكان لى أسعد يوم زين
 وان أنال خير من تعلمنا
 لاهل علم الدين لا للجهلا
 درس الجهابذ بلا امتراء
 قدوتهم فى الفهم فى الفنون
 حسا ومعنى ذاك باتفاق
 فكان فى تقريره فردا علم
 قطبا لمن سواءه مكيئا
 فقد غدا أرفع من منصبه
 ذو قلم ان كنت معه تراه
 جميع من معه دلفت للسلام
 جالت بنافى الدرس أفراس الكلام
 تقريرها عكسا كما قد أخذنا
 الا الذى أخذت خير مأخذ
 قابلنى بطبع كل منصف
 اذ ادرك الصورة بالانصاف
 ينظر أن يعينه لسنه
 وخير عمدة لشيخ ولسد
 من أسرة حسبها سنى
 وان تكن شهرته ليست ثقيل

فلم يزل يفتى لكل سائل
لان من يكون مفتيا لهم
لكن اذا اقاله السلطان
ثمت يبقى مفتيا بلهجته
السيد النفري ذا مقدم
ولطريقة الامام أحمد
وفي بقاع تونس اشتهرت
فقد رأيت أن مدينة فقط
بي رحب الشيخ السنن ترحيبا
فكان أن أخبرته بمسقطي
وانني ممن نحى الحجازا
فقام مع ولده المذكور
فقال لي ولده مكانكا
ومد لي كتابه كي يونس
فحين أوصل أباه رجعا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا
تطوعا منهم واكرام غريب
هذا الامام أحد الاساتذة
وجامع الزيتون مفعم بهم
فالجامع الازهر والزيتون
ثلاثة في كل قطر واحد
بها وبالعلوم من أعلامها
قد جلت يوما في نواحي الجامع
وتلك ما تخزن فيه الكتب
وكل من أراد منها دفترا
حتى اذا أتم فيه مقصده
وانها لكتب محبسة
ثم هناك كان أيضا قصر
مفرش بفرش مرفوعة
أفعم أيضا كل أنواع الكتب
يلجها المطالعون كل حين
ولست تسمع لهم همسا ولا
وذاك ان فكسرة الالباب
لكن كتب القصر ليست تخرج

من غير أن يحوز أي نائل
هناك كالقاضي ينال نيلهم
يقطع عنه ما به يمان
فقط لمن يسئل عن مسئلته
بمسم التجان كان يوسم
ست زوايا شادها من أياد
لذا زواياها هناك كشرت
بها التي ذكرتها فيما فرط
وفاتح التسائل الرحيبا
وعن تعلقي وعن مرتبطي
كيما أرى بالحج ممن قازا
يصحبه بيرة المشكور
فستري الرجوع منى انكا
فهل ترى مثل كتاب مونس
ثم ذهبنا نحو دارهم معا
أرى من النعم صنفا صنفا
هل مكرم ذا غربة الا اللبيب
وهم كثيرون كما التلامذة
الله يحفظهم مع حزبهم
والقرويون هدى ودين
يقبس من سنا هداها الوارد
امتنا دامت على اسلامها
أعد ما فيه من المخادع
اذ بها (حك) (٢٨) اذا ما تحسب
قيده خطه برق يسرا
رده تقييدا كما قد قيده
كما ترى ذاك بكل مدرسة
فخم علته بهجة وبهر
مع كراس بينها موضوعة
من كل علم قربت لمن قرب
وكلهم يطالعون بسكون
حركة الا اطلاعا واجتلا
يلهبها حس من الذباب
فكل من يريد منها يلج

ينظرها ثم مدى النهار
 أما صنادق كلام الله
 كثيرة في القصر ذا والجامع
 ومن فضائل لهذا الجامع
 أن أبا الحسن ذاك الشاذلي
 درس فيه تحت ذلك العماد
 ذاك الذي رقم فيه اسم النبي
 وكان يسكن هنا بتونس
 وبعد ما حسده من حسده
 أجلوه عن تونس نحو المشرق
 لكنه وإن جلاه الحاسد
 ما زال أهل تونس الخضراء
 فقلما تسمع غيره سوى
 باسميهما يلجأ من تضرعوا
 مقام ذاك الشاذلي معلوم
 والفضل في ذاك المقام شهدا
 وكلهم بين الرجال والنساء
 بنوا عليه أحسن البيوت
 أهل الطريقة بيوم السبت
 من الصباح للزوال يعمررون
 ويذكرون الله بالقيام
 هذا ورقصا والتميم إذا
 فهو أولاء الذاكرون الله
 من حب ربهم يحركوننا
 الله ذكرهم ولكن ما بطن
 وغيرهم يحسبهم بلها وما
 من ثار فيه الوجد حقا وجدا
 ومن يكن مقامه من بعد
 فانه تواجد يفعل ما
 هذا نبينا يقول أن من
 وإنما الأعمال بالمقاصد
 قد زرت ذلك المقام الشاذلي
 فابصرت عيني المقدم به
 فسمت منه رجلا عظيما

فليس يمنع من استقرار
 فهي بلا عد ولا اشتباه
 فانظر فليس ثم من ممانع
 سيد كل مسجد وجامع
 العادم النظير والمماثل
 ذاك الذي كان به خير عماد
 وخلفائه العظام النجب
 فكان بالارشاد خير مونس
 وأي ذي فضل خلا من حسده
 فكان في المشرق خير مشرق
 وضل عن منهاجه المعاند
 به ملاذهم في الضراء
 شيخ التجانية معه في استوا
 بتونس أن طاف يوما فزع
 وباستجابة الدعاء موسوم
 يزوره في السبت من قد قصدا
 يأتونه من الصباح للمسا
 والبسوه أفضل السموت
 في حضرة الذكر بكل وقت
 حضرة ذكر الله ليسوا يفترون
 بالوجد والوجد من الغرام
 جن بعشق كيف يسكن إذا
 جنوا فكل قد غدا أوها
 منهم بما إياه يدركونا
 لم يدره منهم سوى من قد فطن
 أبعد من ينكر ذا أن يعلم
 حتى يفرق جميعا قددا
 لم يمتلكه شوقه والوجد
 قد فعلوا تشبها بالكرما
 لم تبك عينه تباكي فافهم
 وحسن قصد المرء نجح القاصد
 يوما كفعل عند كل كامل
 جلس وقته على منصبه
 مجدا وعالما فخيمما

جالسته أحسن به جليسا
 لله دره أخا رئيسا
 سأله عن هذه الكيفية
 فقال لي طريقة الامام
 فهكذا كانت مدى حياته
 ومن أراد ورده فهكذا
 وكل من أنكر هذا الذكرا
 ترى الذي قد ادعى طريقة
 ينكر هذا الذكر فيما ينكر
 من أنكر الكيفية المذكورة
 يعرف بعضها ثم بعضا ينكر
 أخذ منها ظاهرا ونبذا
 لو دخل البيت من الباب درى
 لكنه يدخل من ظهور
 ومن رمى وصفا من الاستاذ
 لم يبق حبل نسبة بينهما
 فكم وكم من مدع للاقتدا
 قد اعتدى في أمره اذ انكرا
 فلم يسلم قلبه لقلبه
 وهو الذي ظلم نفسه اذا
 من لم يسلم المذى قد اقتدى
 وكل من ينكر للاشيء
 اما بسوء الظن في ابتداء
 وذاك لم يكن له استاذ
 لذاك قال الشاذلي التصديق
 وليس يقدر على التصديق
 كم قائل من ذا الذي تريد
 أقول في جوابه ما يفهمه
 اقضى المراد من مرید أن يقف
 وشيخه لم يعد أخلاق النبي
 لاشك انه اذا ما اتصفا
 يرقى الى المقصود من معرفة
 في كل ذاك درجات شتى
 وذاك كله مع الصفاء

لكل من نافثه أنيسا
 يدرك ما يكلل الرؤوسا
 من ذكرهم في الحضرة الخيرية
 الشاذلي هذى بلا كلام
 وسلسلت عنه لدن وفاته
 ومن أبى فورده قد نبذا
 فهو على الامام أبدى النكرا
 للشاذلي منبع الطريقة
 ثم يراه شاذليا يشهر
 فأين منه النسبة المبرورة
 بالبعض يومن * ببعض يكفر
 باطنها كأنه ما أخذا
 ما فيه أجمع لانه يرى
 والله قد نهى عن الظهور
 كان بكل الخزي ذا انتباذ
 أصلا ولا ورد وان توهما
 لشيخه مخالف بالاعتدا
 من وصفه فكان منبوذ العرا
 فانقلب القلب له بقلبه
 لاقاه حتف بعد ذاك أو أذى
 به مدى الدهر فأين الاقتدا
 حالا غدا والله ذا امتساح
 أو عدم الكمال في انتهاء
 ولم يكن له به ملاذ
 بنا ولاية وذا تحقيق
 الا ذوو التدقيق والتوفيق
 ان يقتدى بحاله المرید
 ان شاء أن يسمع من يعلمه
 عند مراد شيخه فيتصف
 في كل ما من الشمائل حبي
 بذاك اخلاصا وقصدا واقتفا
 لله والتوحيد والفتوة
 يرقى بها المرید وقتا وقتا
 في القلب بالاخلاص والوفاء

وقصدنا حين نحث من ارادا
وان يرى شيخه بالكمال
وان يصدقه في السبيل
كما يقول العارف البغدادي
انه ما دام يوسوس له
ولا تزال نفسه في ذاكا
حتى يمر عمره ضياعا
وذاك شرطنا بذى الطريقة
هذا الذي يمكن في الجواب
اما الذي يسأل عن تعنت
فلم يكن للفتة أهلا ولم
ومجمل الكلام في الطريقة
أن يعمل المرء بعلم صحا
في ذلك البيت لباب القصد
وفي مقام الشاذلي مغارة
حفر تحت الاس والاركان
والسمع في طول النهار مشتعلا
وبالدعا والتفل والتضرع
يزدحمون كازدحام الهيم
فرحمة الله على الامام
من مثله في الدرس والعبادة
نشأ في المغرب ثم هجرا
وفضله ما زال قطر تونس
يوم دخلت تونس لقيت
وكان صالحا رقيق القلب
قد كان من بين ذوي التدريس
أبرع بارع بفقته مالك
ومذهب الامام فيها أكثر
لان من يلي الامور حنفي
كذا لقيت جبل العارف
شارب كأس الخمرة اللدنية
من عام في مقام جمع الجمع
له من الفهوم والرقائق
ولو رأيت صفوه لشربه

طريقنا هدى بافراد المراد
في كل أوصاف وفي الاحوال
وان يرى لديه كالمغسول
سيد كل حاضر وبادي
في شيخه لم يرق ما أمله
تمد بالوسوسة الشياكا
من غير أن يمد قط باعا
ومن يرد فليزمن طريقة
لمن يكون ملهم الصواب
وقلبه بالجهل في التشتت
يلق لغير وضعه تحت القدم
ان كنت تبغيه على الحقيقة
عن حسن قصد كي ينال النجاح
فاهد الاهدنا جميعنا اهد
معيده بنسي كالنارة
مقدار ما يجلس فيه اثنان
وكل داخل بذكر يشتغل
وبانتحسابه وبالتخشع
ان وردت عن ظما عظيم
من كان قدوة على الدوام
والرشد والارشاد والافادة
من تونس لمصر حيث أقبرا
يشع منه كالنهار الشمس
فذا عليهما به قد حظيت
ذا خلق عال ذكي اللب
وأهل ذكر الله بالتقديس
وكم وكم من بارع هنا لك
من غيره والحنفي أشهر
وأصله في الترك منذ السلف
ومركز العلوم واللطائف
في حضرة شريفة سرمدية
وقام بالوتر حيال الشفع
رسوخ من كسرع في الحقائق
من بحر وادي عشقه وحبسه

لقلت ذا الجنيد في ذا العصر
 السيد المبجل الشيخ سعيد
 له أخ في السن كان أكبرا
 ولاخيه ولد على
 لله دره لدى الافهام
 يجلو بفكره صدى الاوهام
 ولم يزل في حالة ازدياد
 لكونه ملازم القسرة
 متسما بسمة الصلاح
 همته نحو الذرى تعالت
 فكان اخذا للاسم الاعظم
 بوصفه المعلوم والمشهور
 سبب ذا أن أباه قد رأى
 قال رأيتني ألقن لديك
 فقلت يكفيك الذي قد وقعا
 فقال لابد من الاشباح
 فيحصل السر على الكمال
 فكنت معهم على المدام
 نجنى ثمار الوصل بعد الهجر
 قد نضجت أثمارها للجاني
 والكون كله لنا أشجار
 والدر كله لنا أسجار
 ونجن بين الحور والولدان
 فلا تسلم عما جنت أكفنا
 فتونس من عاداتها أن تؤنسا
 حياهم الرحمن ثم بيا
 ان لتونس زيادة على
 بنيانها احسن به بناء
 مع الذي فيه من اتساع
 وكل دورها قصور سامقة
 بذاك كله بدت خريدة
 تجمع للمسلم كل سؤل
 فلم تكن الا رياضاً نيرة
 جال بها بالرد والقبول

فازت به تونس خير مصر
 ذو الشرف الاثيل والخلق السعيد
 وفي المعاني والمذاق أصغرا
 على منارة العلا على
 يعجب بالحدس أو بالافهام
 فهو به في الكر والاقدام
 للرتب العليا وفي ارتياد
 مرتديا متشح الجراءة
 منتجع النجاح والفلاح
 وكل هممة تهمل نالت
 عنى مع الادب له المكرم
 ينتج في الحين بلا شهور
 رؤيا فقصها على نبأ
 ذكرا كذا فخذ يدى الى يدك
 في عالم الارواح فالقلب وعى
 تذوق ما قد ذيق في الارواح
 في الحس والمعنى على التوالى
 من المعانى خمرة الكرام
 في روضة العشق براح الفكر
 وزهرها لقاطفيه دانسى
 قد غردت من فوقها الاطيوار
 والحب قد حلت له الازرار
 في جنة الاذواق والمعانى
 من أمل معسل ومن منى
 كل غريب عند أهلها رسا
 فكل من يصفهم سعييا
 كرمها رفع بناء يجتلى
 سما بسمك رفعه سما
 في رحب الديار وارتفاع
 مثل جبال عاليات شاهقة
 رائعة خالصة فريدة
 لولا عدو الله والرسول
 نجسها حكم اللئام الكفرة
 في كل انحائها والسبيل

اذ ولى الامور فيها عازلا
 وكان امر الله فيها قدرا
 تاتى اموره على وفق القضا
 بسبب يظهر او بغيره
 وان تكن سنته أن لا ترى
 اتى أميرها عدو الله
 وكيف ترجو النصيح من عدوك
 ذاك الذى استولى على الجزائر
 جاء الى هذا الامير الابله
 فقال نجمع الامور بيننا
 نحرس هذا القطر والولاية
 نقف فى وجهه المخالف لك
 فانت رب التاج والامارة
 نحن لك العضد واليدان
 وذلك الابله من مخافة
 أصغى الى تمويهه ذاك القول
 فتم فى الحين عليه الدست
 فبعد ما كانوا له اليدين
 والوجه والآذان واللسان
 والعقل والقوة ثم الحركة
 كانه لم يك فى الوجود -
 وهكذا من صادق الاعداء
 القمص بالرماح عند الكرة
 فبعد أن كان أميراً يأمر
 فكان أمرهم هو الممثلا
 فمات ذاك الاحمق المأفون
 فولى الامر أخوه بعده
 لان ذاك الشرط أن يولى
 فاستحكم الامر لاهل الامر
 وليس للامير من ابرام
 قد اجلسوا عند الامير من يرى
 فكل ما استحسنه تم وما

فيها أميرها الغبى الجاهلا
 من قبل أن تخلق طرا قدرا
 فما يشا قضى وما شاء مضى
 فلا مؤثرات عند أمره
 مسببا من غير أسباب الورى
 بتصححه وهو له ملاهى
 من ليس يرضى غير نبد شأوك
 بضغط حكم المستشيط القاهر
 كزائر يعقد وصلة به
 دسائس تعرف منه ديدنا
 من كل من يعلن بعد راية
 فعن قريب سيدوق المهلكا
 والصولجان وحليف الشارة
 على صروف الدهر والسلطان (١)
 توجست من صاحب الخلافة
 من خوف أن يذوق طعم العزل
 والغضب احتف به والمقت
 صاروا له اليدين والرجلين
 والفم والخلقوم والاسنانا
 وغادروه ما به من حركة
 وليس فى الاحياء بالمعدود
 سوف يغادر بهم هباء
 أفضل من هذا الحياة المرة
 رجع مأمور العدا ياتمر
 وان أشاروا للامير امثلا
 وانه أذل ما يكون
 بشرطه الماضى فوفى عهده
 من كان يمضى فى العهود الكلا
 وانفردوا بسره والجهر
 من أول الامر الى الختام
 فليس يامر سوى أن أمرا
 لم يك مستحسنه ما تمما

(١) يعنى العثماني

وكان أيضا عند دار الوزراء
قادر مخازن البلاد بالرشا
وليس للامير والوزير
الخرج والدخل جميعا بيده
هذا وكل المسلمين ما رضوا
قد قاوموا اذ سمعوا الكفار
ثاروا جميعا للدفاع بالنفوس
لكنه لما التقى الجمعان
خرج من بينهم الامير
فسلم الامر لسر كانا
والناس حين ابصروا الرئيسا
تعجبوا وبهتوا ودهشوا
فما دروا ما الصنع بعد اليأس
ففوضوا أمورهم وانقلبوا
قاموا ولكن خانهم ذاك الامير
فهكذا سلمت البلاد
أخذها ببرها وبحرها
فانتكس الناس بلا كلام
وذاك جاش بوسط الصدر
وذاك قد ادركه من يحكم
فلم يمل بعد بهم الى الذي
وانما سوى جميع الناس
لا شرف يرفع من قد شرفا
فالناس كلهم جميعا شرع
وكل ذلك من الاهانة
كذا جرى في تونس الخريدة
دخلها من غير سيف ودم
دخلها به ولكنه نال
كما تنال المدن الجميلة
فالقيروان والسفاقس هما
لاكنما ضباب هذا الكفر
ولو رأيت من بها من خلق
لقلت لا يمكن أن يستولى
لكن أمر الله حقا وقعا

من شاء أوردتهم أو اصدرا
بيده يصرف منها ما يشاء
سوى المشاهدة في الشهور
كذلك الاحباس تحت عضده
لكنه ما الصنع ان لم يرتضوا
قادوا اليهم عسكرا جرارا
ونصبوا نحو المدافع الرؤوس
ولم يكن يبقى سوى الطعان
وكان نصب عينه السرير
بينهم قبل فالآن باننا
أحنى أمام الغاصب الرؤوسا
حتى غدا اثبتهم يرتعش
فالركن 'منهار' من الاساس
وفي القلوب في الضلوع اللهب
مايرم التدبير ان خان السفير
ودخلت تحت العدا العباد
وضمها بصدرها ونحرها
وفي النفوس مفض الكلام
كالقدر ان غطيت أعلا القدر
فصار لاستيلافهم يستخدم
لدى الجزائر ولكن يحتذى
فالرجل عنده كمثال الرأس
لديه لا ولا علا سلفا
أمامه : الاصيل والمتضع
لا سيما لعالم الديانة
غداة ازجي جارها جنوده
بل بالذي ندم كل الندم
في حكمه غاية خسف واختلال
فهى تراها 'سلبا' ذليلة
وسوسة مثل النجوم في السما
القي عليها من حجاب الستر
وكلهم أهل الهدى والحق
قهرا على بلادهم مستول
فلم يكن لاحد أن يدفعها

يا رب عجل لهم بالنصر
فان حال المسلمين اجمعين
(فهؤلاء قد بغوا علينا
قد اخبر التونسيون انصاره
فلم تعد بركة في الزرع
شرائع الاسلام صارت تنقص
ولم يسد فيها سوى ارتجاج
فهزها يصم كل اذن
عددها أكثر من كل كثير
ومركب البر العظيم يصفر
أسود كالحمم لونا ومتى
يا عجباً من صنعه يا عجباً
ثم هناك السلك فوق أعمدة
وبين أعمدته طول وسط
وحركات الكفر جمعاء على
قد غلبوا بقوة وفطنة
ونحن لم يبق لنا سوى الدعا
ان رعاتنا هم البلاء
لانهم من كلفوا بكل ما
فنحن في بلادنا بالخير
اذا بعد الاله أهل الكفر
ان ينصر الله فليس غالب
أما التي استولى عليها فالهوان
فهذه تونس قد حكينا
يا رب رد أمرها للمسلمين

تنهد على حال المسلمين

واعل أهل الدين فوق الكفر
يقول ما قال امام المرسلين
اذا ارادوا فتنة ايننا
ان زال كل السر منذ استلحقوا
ولا التجارة ولا في الضرع
مذ كان أهل الكفر فيها نغصوا
من عربات الجرى في الفجاج
فيا حناناً للذي بها منى
لانها مركب كل من يسير
وصوته لكل رأس يكسر
جرى ثقل هذا ظليم أفلتا
وليت شعري كيف من قد ركبا
يطول نحو من يطاول يده
ويل لمن مسه أو به ارتبط
ما قد مضى . بتلك أمره علا
وباتفاقهم على الكلمة
لله كي يعين من لنا رعا
كيف لنا ان فسدوا العلياء
نحتاج من لبس ومن طعم وما
بعد ولم نر بها من خير
عنا بفضل ربنا والنصر
تخافه عليك لا والسالب
يدوقه سكانها كل أوان
من خسفها والذل ما رأينا
في القرن يارب بجاء الصالحين

وقد جرى لي آخر الايام
ان كنت من بعد صلاة العصر
اعنى به ذاك الذي سطرته
مستنداً الى عمود الشاذلي
ذاكرني في العقد للمحبة
فقال لي بلغ الى الرسول

هناك مع قد من الاعلام
في جامع الزيتون عند الحبر
وبرقيق القلب قد ذكرته
وهو مكانه لذي الاصائل
لله كالعادة في الاحبة
متى حظيت منه بالمشول

فقال قولا ألهب القلوبا
 وحرك الاشباح والارواحا
 قال اذا وصلت قبره الشريف
 وفازت النفس هناك بالنى
 فقل له يا أيها الرسول
 وانها لأمة مستضعفة
 حتى غدت كاللحم فوق وضم
 رموا وراء كل ما خلفنا
 ونبدوا الدين سوى اطلال
 واقبلوا كلهم للشهوات
 فباسهم بينهم شديدا
 بينهم في غفلة ووسن
 اذ دهمت بين الديار الجلى
 قد زعزعت بلادهم كفار
 فاستحوذوا على بلاد امتك
 حتى غدا كل بنى الايمان
 ودينهم مهتهن عيانا
 فمزقوا واشتتوا واحتقروا
 فهاهم فى صقم لا حولا
 وما لهم وجه به يستشفعون
 سواك ياخير البرايا عنده
 فليس للمستضعفين غير
 فأنت باب للدعا فيستجاب
 بلغ الى نبينا هذا الكلام
 يقول ذاك والدموع فى العيون
 والصوت بالنحيب عال وأنا
 حتى عراني الجذب فى الحين كما
 ثم جرى ما بيننا صموت
 فلم يكن منى ولا منه كلام
 اذ قرب المغرب فافترقنا
 من ليس ذا حزن لضعف الدين
 وكيف يرضى مومن أن يحكما

حتى تكاد منه أن تلذوبا
 وحرك الجبال والبطاحا
 وكنت أثناء مقامه الطريف
 واكتحلت عيناك منه بالسنا
 عرا بنى ملتك الذهول
 احتوشتها أمم مستضعفة
 من يفتح الشدق اليها يلهم
 وضيعوا فى الدين ما اسلفتا
 تبدو لما اسست كالظلال
 كأنهم قد خلقوا من شهوات
 من أجلها كأنهم حديد
 ليس لهم بين لاورى من رسن
 فالبعض فى الاسرى والبعض قتلى
 كان لهم من قبل ذاك ثار
 وقصدهم محو لكل ملتك
 اسرى بوسط الدور فى البلدان
 كما يلاقى أهله الهوانا
 وامتهنوا بيد من قد كفروا
 لا قوة غير دعاء يتلى
 الى الاله قط منه يرتجون
 فأنت من ليس يرد وحده
 دعاء اذا مس البلا والضر
 فمن أتى الباب فما اخطا انصواب
 من بعد أن تقرأ له منى السلام
 كأنما ثرت بمائها عيون
 كدت أذوب لهفة وحزنا
 يقع لى متى أجيش ضرها
 وساد من تحير سكوت
 بعد سوى مد اليدين للمسلم
 واننا بما جرى احترقنا
 قد ونفاق مختب مكنون
 أمر ذوى الايمان وال أجرما

جغرافية

آن لنا توديع تونس فقد
وحى بعد الغرب نحو الشرق
ما بيننا وبين مصر سميا
وبين تونس وفاس العليا
من تونس (يه-١٥) الى طرابلس
(والحاء ٨) من هذى لدرنا العلية

طال بها الكلام حتى ينتقد
تحتسب من ذا الغرب لامن شرق
فى ما يقول القائلون افريقيا
(أم-٤١) من الايام برا مشيا
من هذه (كه ٢٥) لابن غازى ان تقس
(واللام ٣٠) من هذى للاسكندرية

فى طرابلس برقة

فبعد أن مضت لنا أيام
(يه ١٥) تكون ثم كنت فى الخميس
لجدة من بعد عصر اليوم
فى مائتين قط من أناس
فاصبحوا لقللة الركاب
وان ذا المركب انكليزى
وهو يدارى ليس يكلج ولا
واغدر الناس الفرنسيس فما
فبعد ليلتين جريا كالفرس
أحسن بها مدينة للخير
وكلها مملوءة بعسكر
خمس وعشرون من الالوف
تهتز تحته الربا ان جالا
يملا منك العين والفؤادا
يقدمه عند المسير الرؤسا
فيثلجون من صدور المومنين
وان أتوا جميعهم للعرض
ومالهم من المدافع العظام
وهم صفوف كصفوف الصلوات
فمن هناك يظهر الاسلام
ويعرف الكفار أن الدينا
يا ليت كل المسلمين كانوا
فالدين والقوة لم يفترقا

بتونس كأنها أحلام
كريت (بالحاء ٨) بمركب نفيس
سرنا نجوب من أديم أليم
والفلك قد يقل ألف ناس
فى سعة وفى رخاء رابى
وانه فى الطبع ذو التمييز
يغدر فى وعوده كل الملا
يوجد منه من يفى ان كلما
ألقى المراسى لدى طرابلس
ما مسها ذيل لاهل الكفر
به يخيف الترك من قد يجترى
يمشون فى مرصوصة الصفوف
كأنها قد زلزلت زلزلا
كأنما تشاهد الاطوادا
واليوم صاح والنهار أشمسا
ويلهبون فى قلوب الكافرين
والبعض قد وقف جنب البعض
تجرها صدور أفراس فخام
وكل صف أله فوق المئات
وتعتلى له الذرى والهام
بعد له جند يدافعونا
جندا كذا فيعتلى الايمان
الا غدا الدين ضعيفا فرقا

فانظر الى حال الاصحابه فما
والله قد قال لنا أعدوا
والجند من هناك قد تفرقا
يحرس ما يحرس أو يعتمل
امتلات بهم جميع الطرق
كذا المساجد الى الابواب
نزلت من مركبنا لكي أرى
وان أرى ما قد أعد فيه
من بعد ما شاهدت مركبين
وفيهما المدافع العظام
كانا كما قد قيل مما يلزم
صنعة واحد من الحديد
ومركب آخر يمضي ويجي
وكل حين جندهم يبدل
خمس سنين ذاك الجندى
قالوا غدا ذلك فرضا لازما
ومثل ما كان عليه هؤلاء
بشراهم بجنة مزخرقة
سرت أجول فى أزقة وفى
أشاهد الهمم كيف تفعل
فهى مكان الدين والعلوم
وهى بلاد الحرث والتخيل
تمشى بنخل خمسة أو ستة
صلبت فيها الظهر والعصر معا

الشيخ المدني الدرقاوي

جالست فيها عالما مفضلا
طويل باع العلم والاخلاق
قزار بى زاوية الربانى
وعمدة من عمدة الدرقاوية
فهو الذى مشى بها من مغرب
أصله من مدينة الرسول
(يطلب شيخا عارف المسالك

فاقوا بغير حد سيف خدما
خيلا وقوة فذاك الايد
كل النواحي فيلقا فيلقا
والشغل مايبقى القوى والعمل
فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
(ما أحسن المحراب فى المحراب)
من جند هذا الدين ماقد بهرا
من قوة الدين بلا تمويه
قد أرسيا فى الثغر معجبين
قد رفرفت من فوقها الاعلام
من خوف أن يهجم من قد يهجم
قد قاله ذو بصر حديد
يركبه الجند ذهابا والمجى
بغيره كى لا يكون الملل
يبقى كذلك وذا المروى
بأمر من كان عليهم حاكما
هو الرباط عند كل من تلا
ومن يحبه الاله شرفه
أثنا المساجد التى للسلف
والبذل للاموال كيف يعمل
والخير والايمان من قديم
وما يحب الخل للخليل
فلا يكاد ينقضى بالستة
وزرت أهل الخير فيها أجمعها

يظهر أنه من أصل ذى علا
مع تواضع لدى التلاقى
المدنى العارف الصمدانى
ذات النجوم والبدور الضاوية
لمشرق من الامام العربى
قام يجول طالب الوصول
يقيه فى طرقه المهالك)

فكان خائضا لذاك طرقا
 لاقى شيوخا كلهم تصدروا
 حتى انتهى الى الامام العربي
 فوصل المطلوب عنده كما
 أخذ عنه الشاذلية التي
 صحبه (حاء ٨) من الاعوام
 فقال شيخه له وداعسا
 فلم يعد لك لدى من فتيل
 فبعد ما قد غاب عامين رجع
 فاذراه الشيخ قال له ما
 ثم بقى حتى قضى الشيخ وقد
 وبعده ازجى الى طرابلس
 وفي حياة اشيخه ابي الظهور
 ابي تادبا واذا مات بدا
 فكان في تلك المدينة على
 وبعد حين ام نحو مصر
 فمن هناك شاعت الطريقة
 وهو الذي جدد ما قد جددا
 ونهجه حقا على الدرقاوية
 وقد تضاف للمدينة لما
 ونجله شيخ كبير في الحياة
 ألف في الطريقة الماثرا
 أخذ عن والده الطريقة
 والده ولده بالصلب
 وهو لذا العهد باصطنبول

شذلة البحر

ثمت لم أجس لدا طرابلس
 في اليوم نفسه بعيد العصر
 فسار فلكننا على الدماء
 والموج قد جاش بكل جانب
 والماء كالهضاب والرياح
 والبحر في الطمو والازباد

حسا ومعنى عله أن يلحقا
 لكنهم ما أوردوا ما أصدروا
 شيخ الوصول في ديار المغرب
 تقصد كف عند ماكل فما
 صفت فصفت قلبه بالهمة
 حتى غدا كالمبدر التمام
 يا مدني فأنت طلت باعا
 فقد غدوت اليوم خريت السبيل
 وطرفه بالشوق ما قط هجع
 ظننت أن ألقاك يا شمس السما
 قام الى أن صار في وسط اللحد
 ركابه فصار شيخها الندس
 وان له أذن في كل ظهور
 من نوره ما الظلمات بددا
 ارشاد ارباب القلوب للعلا
 ثم الى الحجاز خير قطر
 عنه بكل الشرق بالحقيقة
 ممسا أغار سره وأنجدا
 وان تسمى عندهم شاذلية
 يسكنها من مد منها علما
 مازال موصوفا بأفضل صفات
 للشاذلي صارت له ماثرا
 شرب منه الصحو والحقيقة
 وبعد ذا ولده بالقلب
 يرفع فيها راية التوصيل

كما أشا ومن يعجل لا يجس
 رجعت رغم الانف نحو البحر
 كأنه في الجو لا في الماء
 والبحر يكلج بوجد قاطب
 تمدها كأنها رماح
 والفلك يمخر على الاطواد

فلجة في وسط وأخرى
فتارة يكون فوق نجد
وكل روح تبلغ التراقي
جنوبنا تميل لليمين
فهر ليلنا كليل أرمدا
وذلك البحر الشديد يذكر
كم من سفين غرقت في قعره
فذاك أصل المثل المشهور
يقال فيه (غرقه أو برقه)
مقصودهم أن غرقه في البحر
لأن برقة يلقى القاطعون
من عطش ومن حفى ومن وجل
فالبحر يفرقهم بالمسرة
هذا ولم تقطع عباب البحر
والقىء والميد على الركاب
سواى مع ناس قليلين حمى
لم نر في ذاك جميعه أذى
فنحن في القيام للصلاة
وذاك فضل ربنا علينا
فمن يعد نعم الاله
ثمت بعد قطعنا الشدادا
سرننا وبرنا الى اليمين
وبعد ما غاب تبت السما

في الصعيد

ولم نخرج نحو مرسى قبل أن
فلم نر الرفع للاسكندرية
مرسى الصعيد هو مرسى مصر
وبينه زاي (٧) وبين القاهرة

قناة السويس

ثم يلي بر لقطر الشام
من الصعيد لمدينة الرسول

تلتحق منه الجنب ثم الظهر
وتارة يكون تحت وهـ
من رجة المستفحل الخفاق
ثم الى شمالنا في الحين
فلم نكد نامل بعده الغدا
متى غدا المركب فيه يمخر
وقاطع لكن بعيد ذعره
الشائع الذائع في الجمهور
المثل المضروب في المشقة
ولا أذى برقة وسط القفر
مشقة جلتى بها اذ يقطعون
ومن سباح سائحات والوحل
والقفر يؤذى كرة فكرة
حتى رأينا كيف وقع الدعر
تسلطا بالسقم والاوصاب
من شاء من هذا البلا وسلما
ولم يمس جفنا أى قذا
مع الوضوء أول الاوقات
أولاه من تكرم ومثنا
فليس ينحصى عدها والله
في البحر عاد حاله معتادا
نلحظه بنظر العيون
والماء لا غير فترعى الانجما

يربط في الصعيد فلكننا الرسن
ذات رجال من شيوخ الصوفية
به بجمعة مسسنا البرا
وللسويس دال (٤) في المسائرة

بجهة كل مدن الاسلام
كاف (٢٠) برارى ولا بحر يحول

فبرنا ببر مكة اتصل
بحر السويس يبتدى مجراه
وبحرنا هذا بهذى السنوات
قد حفروا البر الذى بينهما
فاتصل البحرين ما بينهما
مقدار يومين الذى قد حفرا
وذاك فى أيام اسماعيل
وذاك من عصر قريب جدا
وكل من يسمع بالاعمال
يكذب المخبر لكن ما وقع
لذ ايقال كل من لم يجمل
لكونه لازم حِفْش أمه
كم من رجال وكنوز وحديد

مصر ونيلها

ومصر قطر الحرث والكنوز
ونيلهم يفيض وسط كل عام
يسيل فى بلادهم جمعا
لذلك ليسوا يرتجون مطرا
أغنى عباد الله حقا كانا
فمثلهم من يوصل البحورا

إلى جدة

ولم يقدر أن أزور مصر
حتى نزلت بالحجاز الازهر
وفلكننا أقام فى ذا المرسى
فبعد مغرب شى برفق
لكونه الضيق مثل الوادى
لتدفع الرمل فلم يزالوا
وقطر الجمال بين الفلوات
وبعد عصرنا رسا فى البحر
هناك مفرق الذى قد ادعى
قد جاز موسى البحر اذ له انقلب

وبحرها عن بحرنا قد انفصل
لسدى السوادين ومنتهاه
بذاك قد وصل حفرا سنوات
مقدار مجرى السفن فامتلا بها
ما أعجب العزم من ابن آدم
طولا بعزم عازم ما انفترا
كان بمصر حاكما جليلا
ومن يكذ لا يضيع الكدا
وما درى الهم من الرجال
ليس بمنبوذ بنيد ما سمع
ليس بعاقل ولا برجل
فقاس عزم غيره بعزمه
انفق فى حفر لذلك المديد

فضلا عن الجمال والمعيز
من السودانين بفيض ذى النظام
يغمر كل حرثهم بالماء
ولا ترى للجدب فيهم أثرا
سكان مصر عرفوا أزمانا
بمالهم فلا يرون بورا

فلم أقارق بعدها ذا البحرا
فى بر جسدة المنير الانور
ينزل أو يرفع منذ أرسى
بنا بقنديل بذاك الفتق
مزرب الاطراف بالاوتاد
توسعا ترحزحت الرمال
لسدى الرمال جائيات ذاهبات
بحر السويس عند نحر البر
أنه رب الخلق بين المدعى
وقومه والرب ذاك فى الفرق

رب ويفرق فذاك عجب
فرعون يا ذا القولة الغريبة
من بعد ألفين من السنين ما
ومن يرد اهلاكه رب الورى
يا ربنا أهدنا ودم علينا
فى الليل بعد يومنا سار بنا
يمخر فى بحر السويس الاحمر
ومنتهاء ببهار آخرى
والبر للحجاز فى يسارنا

الاحرام بالحج

فحين جاز الفلك رابنا أباد
فازدحم الانام حول المغتسل
فأعلن الحجاج بالتلبية
فصرت تبصر الجميع جردوا
ثم أداروا حولهم مثل الكفن
تقبل الله لنا الاعمالا
بعد ثلاث كلها فى البحر
بدت لنا أعلام منزل الحبيب
أشد ما يكون شوق من مشوق
بدت لنا وكلنا زفير
ديار جدة التى نقصدها
أرسي بنا المركب فيها ونزل
فبعد ما طاب بنا القرار
فهى هناك قبرها مطسول
قد استدار حولها محوط
زرت هنالك بنيسة لها
وفى مساء الغد سارت قافلة
على متون النوق قاصدينا
وهم يلبون بصوت اختلط
والشوق يحدو نوقنا كأنما
تمد فى الرسيم والذميل
ولست تسمع خلفها سوى

أم انه تكبر وعجب
ما زال تنتك كنتن الجيفة
زالت نتونة الغريق بين ما
فانه عسم وان تبصرا
هداية الدين التى رأينا
مركبنا كالنهر ألقى رسنا
بذاك سموه كما فى الاشهر
متصل أنبا بذاك الادرى
وفى يمن تترك السوادنا

بذاك للغسل باحرام العباد
فلا تسل عما يعانى لا تسل
من بعد اخلاصهم للنيسة
رغما ولولا الحج ما تجردوا
والرأس عروه كما كان يسن
وأخلص الاقوال والافعالا
والفلك ليلا ونهارا يجرى
فكل قلب فيه خفق ووجيب
اذا دنت داره من دار الصديق
جاشت بلفح ناره الصدور
وفى جوارها اضا نردها
جميع من فيها وما معه عزل
طسار الى جدتنا الهزار
قاف ١٠٠ وعرضها ١٠ دال ٤ يقبل
وقبة يحمل منها الوسط
والله يعلم فقسط احوالها
لزمرة من الحجيج حاملة
أم القرى فى الله راغبينا
من بينهم فهل رأيت السوق قط
قد كان كل جمل متيما
أعناقها كصفحة الصقيل
ركز خفيف وقعه ان استوى

تهزنا كأننا في الذكر
يا ليلة تسرى بنا المطايا
حيث مكي ليكة محببة
وفي الصباح نزل الحديبية
وهي تسمى حدة في اليوم
هناك موضع رضى المنان
أيام ابن زحرف سيد الورى
قد جاءهم معتمرا ولكن
فعمسكروا في خارج وقالوا
فارسل النبي لم نجى سوى
فانفوا أن يسمع الانام
فسفرت ما بينهم رجال
وبين ذلك مضى عثمان
ليقضى الغرض للرسول
فقام سيد الورى فمدت
فبايع الصحاب تحت الشجرة
فكان من هناك أظفر الورى
فازوا برضوان من المهيمن
وبعد أهل بدر كانوا أفضلا
وبعد ذا واجعهم عثمان
فتمت الهدنة ثم رجعا
صلى عليه الله ما حن محب
وفي المساء ذلك النهارا
وعندما مر من الليل هزيع
حطت ركابنا ازاء بئر
وذاك ذو طوى الذى قد اشتهر

والشوق للمذكور فينا يسرى
فيها لكى تقضى لنا النوايا
أدنت الى مكة المحببة
أصحابنا أضعاف أضعاف مية
بذاك يديرها جميع القوم
عن صاحبي الشجرة الشجعان
الى قريش سناكنى أم القرى
قد منعوا أن يلج المساكن
دخول له ديارنا محال
معتمرين لم نرد حرب السوا
ان قد حواه البلد الحرام
فكان من كل فريق قال
نحو قريش وله الايمان
إذا به منع من قفول
كف شريفة له فامتدت
على محاربتهم للكفرة
بخير ما يحوزه من ظفرا
وذا الرضا منية كل مومن
ياسعدهم حازوا الكمال والعلا
ولم يمس عنده بنسان
سيد من صلى وصام ودعا
الى الحبيب ما بدا برق يجب
جلنا بظهر الاينق المهارا
وقد ذكا الشوق بأوساط الضلوع
قبتها من فوق كالسرير

ان كنت فى (المرشد) أوفى (المختصر)

ذلك كما عن النبي نقلا
كما تفور فى التناير القدور
والشوق فى الحجاز من أسرار
تراه الا ناهدا أو معولا
قسوته أبدت لربها الاذى

فاغتسل الناس اغتسالهم بلا
فاقبل الناس وشوقهم يفور
والدمع فى الخد ودكا لامطار
وكل من يكون بينهم فلا
هنا تلين صخرة القلب اذا

سارت بنا الاينق اثناء سحر

والشوق أدهى ما يكون فى السحر

وقد قربنا من هضاب مكة
ونسيم الجو تهب بشميم
فلا نقول انه نجدى
فحبنا في مكة المحرمة
عند طلوع الفجر عم الفرح
والقلب في شغافه يرفرف
زلنا عن الاكوار والبشر غلب
فسارت الاقوام والاشواق
والشوق يحفز ولكن الادب
فأطرق الرأس حياء والخطا
انكشف الغطاء وانجاب الحجاب
فالقلب في فرحه مستغرق
ودهشة الوصال للالباب
وربما ياتي البكا لدى الفرح
ووصف ذلك الذي يذاق
بروضة عند ذوى الاذواق
فاللفظ للاوراق أما المعنى
ما كل ما كان يقال لا ولا
حبنا البحار والبرارى لنرى
وذاك بيت ربى المفضل
يعلوه من سنا ومن أسرار
ما كان سر الله فى تفضيله
فهو وان شيد بطين وحجر
مثل بنى آدم أصلهم تراب
خلقهم من حما مسنون
وذاك كله بسر الخالق
فذاك البيت وكل مسجد
وذاك بالقلوب لا العيون
أطوف بالبيت ورأسى مطرق
فذلك المحل للخشوع
وللتضرع ولالتجا الى
وذا محل العطف والاقبال
يبسط كل القاصدين الكفا
يستنجزون وعد من دعاهم

وقد رأينا فى المسيل ايكه
عرارها وانت تدرى ما التسيم
بل انه حرصى مكى
وبيتها وان نزور حرمة
فكل صدر بالمنى منشرح
اذ بان بيت ربنا المشرف
كأنما نشرب من بنت العنب
طارت بها الصدور والاطواق
فى ذلك المقام مما قد وجب
قد استعارت سيرها من القطا
فظهر البيت الحرام فى حجاب
سكران مما قد دهاه يخفق
معروفة عند ذوى الاحباب
كما يجى الضحك فى وقت الترح
ان موزجت بالوصلة الاشواق
ذلك ما دق عن الاوراق
ففى القلوب ان تكن ذا معنى
ماكل ماقد قيل يلقى فى الملا
فهؤلاء نحن فى أم القرى
حللت منه عند خير منزل
ومن تجلة ومن اكبار
مما يرى الحاج لدى نزوله
شرفه الله بسر استتر
لكن ما فيهم من أعجب العجائب
لكنه ميز بالكنسون
ياويح من يكفر فى الخلائق
قد جللت بنور سر سرمدى
مشاهد لا تك بالمفتون
اطرق بالخضوع بابا يطرق
وابكاء العين والخضوع
مولى الموالى ملتجى كل ملا
وذا مقام المن والافضال
وقد أتى الجميع صفا صفا
للجفلى ووعدهم محتتم

وليس قصدهم جميعا الا
وذاك سر الحج للبيت كما
اذ كل ما ينسب لاله
فالقصد ان قصد بيت الله
اذ كل ما قصد في الاشياء
فالبيت لم يفتد بالمقصود
كذلك سائر الذي يضاف
فما أضافه لنفسه فلم
لكنما المقصود أن تحترمه
وذاك كله لكي ينتفعا
لأننا جميعنا ذوو شهود
ثمت ان سرنا على ما رسما
فانما الارواح بالاشباح
دور ولكن ان علمت اننا
فكم وكم غفل عما ذكرنا
فذلك المعنى وذا الطريقة
يا ربنا يا ربنا يا ربنا
نزلت قرب مسجد الحرام
أشاهد الانوار في السرج تنير
اضواؤها مثل نجوم الفسق
وبعد ما أوعيت من متاعى
يحدوني الشوق الى الطواف
أطوف حيناً واعب آخر
دخلت من باب السلام أولا
وبعد ما أتممت سبعا سرت
والبيت شامخ الى السماء
مرتفع الباب بقرب الحجر
ملتزما يدعى الذي بينهما
والبيت تكسى كسوة الديباج
في وسط المسجد في فضاء
حدينا مسجده صفان
والغير صحن كله فضاء
ولا تكاد تستبين من ترى
من سعة المسجد ثم زمزم

رضوانه يلقي عليهم ذبلا
قد كان سر قصد مسجد سما
فهو الوسيلة بلا اشتباه
القرب منه يا أخا انتباه
يرسخ في الحجا بلا امتراء
الا دلالة على المعبود
لله فالقصد به الاشراف
يحتج اليه فهو خالق الامم
وان نعد حافتيه حرمة
من حج أو صلى فتاب ودعا
لم نك ندرى غيره في ذا الوجود
نرقى الى ذاك الذي ينقى الظما
وانما الاشباح بالارواح
هما معا يزول عندك العنا
من زل في حضيضه ما شعرا
عند الشريعة مع الحقيقة
تمم لدينا منهما كل المنا
فكنت في المورد مثل النظامي
منه وفي الفؤاد أخرى تستنير
كانها مقتبسات الفلق
في منزل أملت من شرعى
والورد من مازمزم الشافعى
فتلك جنتان بالقلب أرى
وطفت بالبيت الطواف الاولا
الى مقام الخل فاستدرت
مربع متسع البناء
قبل مشرق الضحى واقهر
فليدع فيه بالمنى من يمها
تجىء من مصر مع الحجاج
متسع من كل ما الارحاء
في كل وجه أول وثانى
تحرق فيه الارجل الرمضاء
في كل وجهة امام وورا
بئر لها قبتها تحترم

مسيرة المقام منزلتها
 حد الطواف عندهم معلوم
 والليل في المسجد كالنهار
 وكل ما فيها من المصباح
 أظل في زمزم ممن يكرع
 واحمد الله على استجلائه
 فكان ما دمت هناك مشربي
 ثم ملأت كل ما تيسرا
 وبعد أن طفت خرجت للصفاء
 وبعد هذا السعي ذلك النهار
 قد فارقوا في طنجة الفيحاء
 فاجتمع الشمل على الاطلاق
 وفي جميع الليل والنهار
 واننى هناك في مراقبة
 بسبعة الاشواط كل وقت
 وقد تجلى ربنا للقلب
 ما ذا الذي يبقى اذا تجلى
 والقصد بالطواف للبنية
 وفي الحرام حضرة للشاذلى
 فربما كنت بها مستغرقا
 فغابت الكعبة في الشهود
 كأننا بغيرها من غير ما
 وذا مقام ليست الاخبار
 لكن ذا البيت لمن أتاه
 أول بيت مخرج للناس
 مكة أم للمعالي والقري
 لازمت أصحاب الامام الشاذلى
 فليس لي الا المبيت عندهم
 وسيد منهم يفيض بالكرم
 في كل ليلة وكل يوم
 بفرش مرفوعة وبالوساد
 فهم يبيتون على الاذكار
 قاموا الى الطواف هذا دأبهم
 صادفتي يوما هناك رجل

قد جاوزت مطافهم قبتها
 وبرخام بين موسوم
 كان نار السرج من أنوار
 يمتد ضوءه الى الصباح
 حتى يكون لي به تضلع
 فلم أكد أروى لدى احتسائه
 وشربه كل انا مستعذبي
 منه فأوعيته فيما ادخرا
 ومروءة أطلب في ذاك الصفا
 جاء الالى قد فارقوا فوق البحار
 ونحن اذ ذاك على الدماء
 ففى الحس والمعنى بلا شقاق
 وفي الاصائل وفي الاسجار
 كما يرى الحجاج طرا قاطبة
 وقلبنا في الله لا فى البيت
 فذاك بيته بغير ريب
 سواء عز شأنه وجلا
 تعلق بخالق البرية
 معمورة الابكار والاصائل
 وكان سر الله فيها مشرقا
 فما لها من بعد من وجود
 فرق لدى استغراق قلب فاعلما
 تنبئك عنه لا ولا الاثار
 ذكره الاله ان رءاه
 مبارك الذاكر بل للناسي
 أعلى مكان منه سيد الورى
 وهم اباب نخبة امائل
 والقاب والكف أصابا رفدهم
 كأن واحتيه من احلى الديم
 كأنه الشقيق بين قومي
 فى موضع خاص كما هو المراد
 الى طلوع الشمس فى النهار
 فضلهم على سواهم ربهم
 ومثله يقال فيه الرجل

لقيته هناك عند الحجر
ثم صحبتته لزاويتهم
أسسها شيخ همام فاسي
أخذ عن ذاك الذي قد ذكرنا
العربي سيدي الدرقاوي
وقد ذكرنا أنه بالمدني
وعنه أشياخ هداة الناس
فكنت أحضر بكل يوم
فهم رأوا ذوقى لعلم القوم
عضوا على بالنواجذ ولم
حتى ليمنعوني من الطواف
فقال منهم لي فتى ظريف
لا تتخافن عن مجلسنا
فكنت أرعى لهم الآدابا
صادفت مرءا في الطريق لما
فقال لي لابد أن ترشدني
فكم زمان قد مكثت ها هنا
فخذ يدي لله يا أستاذ
يا طالما أطلب شيئا مرشدا
أطلب ذا السر جوار البيت
فأنت من أطلبه بلا خلاف
فقلت من أين أتاك الظن
فقال عندي شاهد رأيته
كنت اذا دخلت للحرام
ولا يكون غير ان كنت به
أقمت في مكة أربعينا
قد استراح القلب فيها والجسد
وقد وقفنا يوما في الجمعة
مع اختلاف الناس في يوم الوقوف
ثم أعدت وقفتي للاحتياط
وسر مكة جليل ظاهر
أقمت بالافراح فيها حيناً
أفضل ما رأيت فيها المرض
كل مصيبة مع الشعور

وكان قد سبقني في السفر
فكنت أرتع لدى روضتهم
على التقا بأفضل الاساس
انه قد أخذ عن شيخ الوري
من يغسل النفوس من مساوي
يعرف في القرى وكل المدن
من بينهم هذا التقى الفاسي
في حضرة معلومة للقوم
والرأى غالبا يرى من زعم
يرخوا بها فاستسمنوا رب ورم
لكثرة امتراجهم والالتفاف
ممن له بي معلق شريف
ولا تكونن سوى مؤنسنا
فالخير فيما يبهج الاحبابا
خرجت من باب السلام يوما
فخالقني نحوك قد أرشدني
أطلب حتى قد جبا الا هنا
فأنت لي الملجأ والملاذ
يمد لي نحو المقامات اليدا
ومن له الاذن بهذا الوقت
لما رأيت منك من سرائل
طلب من غير الحليب السمن
بالقلب بل بالعين قد عاينته
تجىء بالنور الى الانام
وذا علامة ولي ربه
يوما وأرجو لو غدت سنينا
وانني أشعر دأبا بالمدد
والخير حقا كله قد جمعه
وفي اختلاف دائما كل الخوف
أنا وكل من الى قد يذاط
ونورها لكل قلب باهر
مقدار ما مكن لي تمكيننا
من بعد ما بالحج تم الغرض
بالسه فهو رحمة الغفور

أصابنا مع طلوع عرفة
 ثمّت دام بعده أيامنا
 لكن أخى الشقيق عبد الله
 لوى به مرضه للقبر
 ليغفر الله له غفرانا
 قد كان أجره على الله
 رأيت بعد الموت فى المنام
 الى فيها كتبت تعزية
 وكنت مذ دخلت مكة على
 ثم ملأت كل ما أمكن لى
 وزرت كل تلكم المشاهد
 كفار ثور وكفار فى حرا
 فمسكن الرسول قد دخلنا
 كذاك مسكن أبى قحافة
 هذا وجند الملك الخليفة
 يكثر ما بين الحجيج جدا
 ثمّت فارقت واعينى ترى
 وان فى من بقايا مرضى
 فلست أطعم ولست اشرب
 وبعدما بلغ سيله الزبى
 من الاتاى فوجدته دوا
 فتركه أبرمته على الدوام
 فحل ما عقدته الله
 فكم وكم رغبنا الاحباب
 وهكذا العبيد فى يد القدر
 ثمّت لم تزايل الاضرار
 فلم يسغ ماء خلقى فى الطريق
 لكننى لما وصلت طيبة
 فالحمد لله على السلامة
 رجع الى تتبعى للرحلة

مغادرة مكة

وقبله لم نك ممن عرفه
 يلّم بى عاونة لما
 قدس روحه بفضل الله
 فكان فى ذاك جميع السر
 يسكنه بفضل الجنانا
 على الذى قال كلام الله
 رسالة من خالق الانام
 صريحة ولم تكن تورية
 شرب لزمزم دوا ما علا
 من الاوانى حيلة للقفل
 ما بين صادر وبين وارد
 وكديار للصحابة ترى
 كذاك مولده حقا زرنا
 والد من صال بلا مخافة
 مدبر المملكة الشريفة
 صيره دون النزاع سدا
 رغما على أنفى سنا أم القرى
 بقية لكنها فى مضض
 فمسنى مما أعانى النصب
 شربت ما تركته مما مضى
 فانتعش الجسم به لما ارتوى
 مخالفا للنفس فى كل مرام
 فهل يحل عقدا سواه
 فى شربه ان حضر الشراب
 ما أعظم الله وأضال البشر
 حتى بدت لطيفة الانوار
 الا اذا ما زجته مع السويق
 برئت مذ شربت منها شربة
 فانها لى ضنى كرامة
 من بعد ما وصفت هذى العلة

(ي ط) (١٩) حجة بغير مين
 والنفس تأسير الوداع كاظمة

خرجت من مكة فى الاثنين
 فبات ركبنا بوادى قاطمة

وقد تركنا القلب في البطحاء
ثم نزلنا ثانيا فضاء
ثم الى رابع يوم السبت
من بعد ليلتين فيه حتى
والركب لايمشي سوى النهار
مخافة وحيلة للضعفا
ان مات واحد أو ان ضاع جمل
مقدم الركب فمن طرابلس
فهكذا صارت بنا الالطاف
والفصل في حجتنا فصل الخريف
وبين مكة ورابع أربعة
ورابع فيها النخيل يغرس
من بعد (يا) (١١) وصل ركبنا الى
عيونه تثر بالمياه
وفيه أيضا من كثير النخل
وبين بدر ومدينة النبي
وفي مسير طول يوم توجد
ثم الى الحمراء حيث ير
فبر عامل لدى الجبال
فلى الخليفة فبر لعل
فاننا سرنا على الفياقي

المدينة المنورة

فاليوم قد دنت ديار للحبيب
وحين لاحت طيبة وفاحت
فقد تراءت رايحة المدينة
مسافة من الزوال للغروب
فكنت من رؤيتها سكرانا
والركب في الاكوار كالاطيار
فمنهم ذوو الصياح والبكا
وكيف لا وقد رنوا معالما
محمد أفضل صفوة الانام
اليه أكباد النياق تضرب
ولقاهم السفين تمخر

بمكة العاطرة الارجاء
فيه قضى شقيقنا الحوباء
لعدم المشي بكل وقت
أدوا عن النوق فلوسا شتى
تمهلا في السير والقرار
يقف ان بعضهم تخلفا
يقف حتى ينتهي من العمل
أسعدنا الحظ به وهو ندس
فلا لصوص لا ولا خلاف
كأنما نسير في الظل الوريث
ان كانت الرفاق فيه مسرعة
ومركز فيه الجنود تحرس
بدر فحاز في المياه الاملا
كمسا يثر منه سر الله
وغيره من أدوات الظل
قد هيج شوق بنسيم طيب
مداشر والكل فيه مسجد
تنسب للعباس لا تغور
حفره العامل بالافضال
فحفر الشوق العظيم المعتلى
على وفاق لا على خلاف

فالشوق ثار بالبكاء والنحيب
عطورها ترى القلوب باحت
قبيل ذى الخليفة الميمونة
فرفرفت بين الجوانح القلوب
ولتوهج السنا ولهانا
بالشوق والافراح والاسرار
ومنهم ذوو الغنا وذو اشتكا
لمن حوى في سره العوالما
حبيب كل مسلم له هيام
وذكره به القلوب تطرب
بزائريه عن غرام يزخر

فأى عين تملك الدموعا
 فهذه ديار من أحيا الهدى
 خير الانام كلهم وخير من
 لانه وسيلة الانام
 فى عالم الدر به الارواح
 لولاه لم تكن لها القوى على
 وكل شىء من سوى الاله
 وهو الخليفة على الحقيقة
 خلافة سابقة فى الازل
 حيا وميتا على الاطلاق
 ومن أتاه شبه الخلافة
 وهو الصراط المستقيم للجواز
 وانه مع كل ذا لعبد
 فالعبد عبد دائما والرب
 وساكن المدينة المنورة
 وذاك من فضل محمد الذى
 مادحه ليست له احاطة
 وكل من يروم أحصا فضله
 فالحمد لله الذى قوانا
 دخلتها وقت الضحى مستفتحنا
 وقد عرثنى هيبة المكان
 مستحضرا كل الذى مر هنا
 مستحضرا تموجات الصحب
 وانهم قد وهبوا فى اللسه
 فلم يزالوا بعده فى نصر
 حتى اهتدى من كان حظه الهدى
 يا قلب هذا منزل الرسول
 ومنبع الاسرار والانوار
 هذا محل هيبة الجبابر
 وهيبة الایسام والاسحار
 وهيبة البحار والبرارى
 وهيبة الثقلين الانس مع
 يا قلب هذا سيد الاحباب
 حمدا لمن يسر هذا الموقفنا

واى قلب يلزم الضلوعنا
 بدينه حتى اهتدى من اهتدى
 بكل اصفاء المحبة قمن
 وسيد الملائك الكرام
 قالت بلى ولم تك الاشباح
 خطاب ربنا بلا ولا بلى
 بسره فلا تكن بلاه
 بلا وساطة ولو دقيقة
 وذاك من قبل الورى فى اول
 فهو الخليفة بلا شقاق
 فهو بنسبته كاخرافة
 وهو الحقيقة وغيره مجاز
 لربه الفاعل لا مرد
 رب الجميع وحده لا ريب
 مرآته بفضلها منورة
 يشرف كل من هداه يحتذى
 حتى لسان الدين فى غرناطة
 يفرق بالامواج بين سبيله
 حتى بطيبة نرى منانا
 بكل خير بسنا وقت الضحى
 مستشعرا قدر النبى العدنانى
 بالوحي من حول السيوف والقنا
 من حوله فى غزوات الحرب
 أنفسهم بهيبة الاواه
 اسلامه فى كل قطر قطر
 فبلغ الدين من الارض المدى
 ممشى محمد أبى البتول
 ومنبت الاخيار والابرار
 ومجثم لقائدى العساكر
 وهيبة الاشجار والاحجار
 وهيبة الارياح والاطيار
 جن وسكان السماوت جمع
 ممد كل الرسل والاقطاب
 نطلب أن يكون موقف صفنا

دخلت من باب السلام مسجدا
 حتى مثلت قبل الرسول
 فقلت ما وافق تلك اخضرة
 فكان ما كان من الاسرار
 فما اسنيت نفوسنا قد كملا
 صرت أصلي عنده عليه
 فكنت أطلب له استقامة
 فقل لي ان جميع العمل
 فاطلب من الله رضا الاكبرا
 فصرت أطلب الذي أمرت به
 فالحمد والشكر على التنبيه
 أقمت في المدينة المشرفة
 سبعة أيام مضت كلمحة
 أزور فيها شهداء فمشهدا
 حيث الشهيد حمزة الضرمغام
 كما رأيت في البقيع كل من
 كسيدي العباس والبتول
 وقبر ذي النورين عثمان ومن
 وقارئ القرآن نافع كذا
 فرضى الله عن الانصار

مغادرة المدينة

وحين جد الجد للرجوع
 والقلب يرتجف للوداع
 وافسق يوم عاشر المحرم
 فتابع الركب المسير في الغد
 فبعد أن وصل للينبوع
 فركب القوم الى (الصويرة)
 وذاك في (كب) (٢٢) من المحرم
 وذكروا بان ذا الكسراء

تحت الحجر الصحي في الطور

وبعد يومين رسا في الطور

هيته تقطع قلبي قددا
 رفقة خادم لدى الجليل
 منتعشا بكأس تلك الخمرة
 والخير والافراح والانوار
 فالحمد لله الذي قد أفصلا
 مخاطبا موجهها اليه
 في الدين والدنيا مع السلامة
 عملته قد حاز خير أمل
 تحز به مما تريد أكثرا
 ولم أكن لولا النداء لانتبه
 لنا من الموصوف بالتنزيه
 ارتع منها في ربا مفوقة
 أصبح في الانوار خير سبحة
 بعد البقيع زرت أيضا أحدا
 عليه من خالقنا السلام
 على صيانة التراث يؤتمن
 وكل أزواج النبي الرسول
 هناك مثل مالك خير اليمن
 كل الصحاب طهروا من الاذى
 كذا المهاجرون بالفرار

وكل عين ثرة الدموع
 والركب للخروج الآن ساعى
 ويا له من يوم بين أيوم
 والطرف ينظر لجو أسود
 وربعه يموج بالجموع
 فتابع الفلك بنا مسيره
 بقدر (يب) (١٢) من ريال معلم
 في العام يرخص ولا غلاء

مركوبنا بأحسن المسير

وجبل الطور قريب لهما
فنزل الحجاج للقباب
وذلك الانزال عندهم شهير

قناة السويس

وبعد يومين رجعنا السير
ثم قطعنا التربة المشهورة
ثم الى بر الصعيد ينظر
وبات ليلة هناك وغدا

البحر الابيض فالمحيط

فصار في البحر الكبير يجرى
فودع المشرق ذا البهاء
ومهبط السوحى ومشوى الانبياء
وحيث خسير الانبياء فى الحياة
وسره بين الحجاز واضح
وأفضل الاسرار أن قد حفظا
الوية الكفر هناك تندحر
مع عموم الكفر تونس وفي
فحب مكة مع المدينة
سلب من قبل وبعد لبي
فأولع القلب بأن أراهما

تمام الرحلة

فاليوم كمل الاله مقصدي
فها أنذا راجع بكل ما
لجّج فلكننا بنا للمغرب
فبعد خمسة وصلت (ملطة)
ومثلها لعنجة الفيحاء بلا
قد سهل البحر بفضل الله
وانها لنعمة عظيمة
وكم وكم من سفن الحجاج

برحلتين وصله بلا عنا
فخلصوا المظلوم عند الباب
للمطب حتى لا يكون ما يضر

بالفلك للسويس فاستقرا
فى ظلمة بسرجنا المنيرة
من حولنا وفلكنا قد يمخر
أرعى العنان فاستشار الزبداء

جرى الفلو السابح الاغر
والفضل والسنا مع السناء
والبيت والقدس ومجلى الاولياء
وحيث يؤوى قبره بعد الممات
حيث سنا القبلة فيه لائح
من كل ذى كفر + ومن جا لفظا
بل لا ترى الاسلام الا منتصر
جارتة وهل تراه يكتفى
صيرنى بدينه مدينه
منذ عرفت بالفؤاد ربي
لكى ترى العيان فى مجلاهما

حتى حمدت مصدري وموردى
أحسبه مثل شراب قدما
يجرى بنا كجرى طرف أشهب
ولا نرى من شدة أو ورطة
مشقة فلم نعان مللا
فليس فى الركاب أى واه
فلا فجعية ولا أليمة
أتى عليها البحر بالامواج

وبعد ليلتين من طنجة جا مرسى الصويرة فكان فرجا
في اثنين والعشرين قد وصلنا في مثل يومنا الذي ركبنا
ففرح الاحباب أكبر الفرح فانتعش الروح لديهم والشيخ
منها لنا قد ابتدا الذهاب ثم انتهى منها لنا الاياب

* * *

انتهت الرحلة المباركة • وقد عاينت من تخريجها الامرين • وربما
اقتبست المعنى في بيت فصغته من جديد • ولكنني على قدر جهدي أحافظ
في الكثير على أقوال الشيخ ما دام البيت سليم الاعراب والعروض • وربما
حذفت بيتا أو أبياتا أرى منها تطويلا بلا فائدة • وقد وقع بعض ذلك قبل
اختتامها • وقد كان الاصل بخط الشيخ الذي خرّمشه على عجل في سفره
ثم لم يراجع ذلك بعد ولهذا شذبتا وهذبتا حتى صارت كما يراها القارئ
فرحم الله الشيخ وأحقنا به مسلمين انه سميع مجيب •

كتبت هذه النسخة بعد ما خرجت يوم الجمعة ١٧ رمضان ١٣٧٨ هـ
في الرباط عاصمة المملكة المغربية جبر الله صدعها وجمع القلوب فيها
بمنه وكرمه •



﴿ الفهرس الاول في عناوين الرحلة ﴾

(اعلم أن تفاصيل ما تحتوى عليه لا يدرك الا بالتتبع • وحين كانت
الرحلة صغيرة أعرضنا عن الفهرس المفصل لما تحت كل عنوان)

٣١ الحب مدعاة للوصال	٥ مفتتح الرحلة
٣٢ الحج بين اليوم وامس	٨ السفر من الخ
٣٣ فى العرائش	٩ فى زاوية تازاروالت
٣٣ فى طنجة	١٠ فى أساكا
٣٣ الاثدلس	١٠ فى المعدر
٣٥ فى جبل طارق	١٤ فى ماسة
٣٧ فى البحر الابيض المتوسط	١٥ فى المزار من كسيمة
٣٩ فى ملطسة	١٥ قطع وادى سوس
٤١ الى تونس	١٦ فى أكاير ثم أورير
٥٢ تنهد على حال المسلمين	١٧ فى أيت أمر بحاجة
٥٤ جغرافية	١٧ فى تمانار
٥٤ فى طرابلس برقة	١٩ فى محطة أخرى
٥٥ الشيخ المدنى الدرقاوى	١٩ فى دار القائد الحسن التكنافى
٥٦ شدة البحر	٢٠ فى الصويرة
٥٧ فى الصعيد	٢١ محاورة حول التصوف
٥٧ قناة السويس	٢٣ الى ركوب السفينة
٥٨ مصر ونبيله	٢٤ بين الاديان
٥٨ الى جدة	٢٥ تدين السوسيين
٥٩ الاحرام بالحج الى مكة	٢٦ تدين المغاربة بالاجمال
٦٥ مغادرة مكة	٢٦ تبرك الناس بالحجاج
٦٦ المدينة المنورة	٢٧ استمناح الحجاج
٦٨ مغادرة المدينة	٢٨ نفقتهم
٦٨ تحت الحجر الصبى فى الطور	٢٨ فى السفينة ووصفها
٦٨ قناة السويس	٢٩ حذاء أسفى
٦٨ البحر الابيض فالمحيط	٣٠ ازاء الجديدة
٦٩ تمام الرحلة	٣٠ فى مقابلة البيضاء
	٣٠ فى مجاورة الرباط وسلا

﴿ الفهرس الثاني في الاخطاء المطبعية ﴾

ص	س	خطا	صواب
٦	١٧	بالله اعتنى	بإله اعتمى
١١	٢	يقدر	يقدره
١٣	٢٩	فى الحسن	فى الحسن
١٩	١٢	ءاخر	أخرى
٢٠	٢٦	المكام	المكارم
٢٣	١٦	على فور	على قدر
٢٣	٢١	إذا	اذ
٢٨	١	حلف	حليف
٢٩	٢٥	ومن وراء	ومن ورا
٣١	١٦	مشوا	مشوا
٣٣	٧	صرت	مررت
٣٤	٣	بئان	فئاب
٣٤	٢٥	امتى قد تركت	أمتى تركت
٢٥	١٥	بين	يبين
٣٨	٢	ما وعى	من وعى
٤١	٢٠	وذلك	وذاك
٤١	٣١	يمتلىء المعاء	تمتلىء الامعاء
٤٥	٢٤	اذ بها	اذا بها
٤٧	٢٩	أقضى	أقصى
٤٨	١	أرادا	أراد
٤٩	١١	مع الادب	مع الالب
٤٩	٢٥	من عاداتها	عاداتها
٥٠	٢٣	من هذا	من هذى
٥٣	١٩	فى صفهم	فى صفعهم
٥٥	١٥	ذاك	ذلك
٥٦	٣٠	بوجد	بوجه
٥٦	٦	كالبدو	كالبدو
٥٧	٢٦	الرفع	الربع
٥٨	١٨	لذلك	لذاك
٥٨	٢٧	ترحزت	ترحزح
٥٩	٥	ودم	أدم
٦١	٢٧	فذاك	فذلك
٦١	٣٤	ووعدهم	ووعده